فتح مكـــة والســـرايا التي تلتـــه

" دراسة تاريخية وصفية "

د. محمد بن صامل السلمي (*)

المقدمـــــة :

الحمد لله رب العالمين، الذي خلق فهدى وأعطى فأغنى ، وبعلمه وحكمته بعث الرسل، وكان خاتمهم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم. وبعد :

فإن أم القرى والبلد الأمين هي موئل أفئدة المؤمنين، و بها البيت العتيق الكعبة المشرفة، وقد ولد ونشأ فيها خير خلق الله النبي الأمي، ومنها بُعـث وأوحـي إليـه، ومكث بها ثلاث عشرة سنة بعد النبوة، يدعو إلى توحيد الله ونبذ الشرك وترك عبـادة الأوثان، فاستجاب له من أراد الله هدايته، ولكنهم أوذوا وعُذبوا من المشركين، ممـا دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن يأذن لهم بالهجرة إلى الحبشة، ثم يجتهـد صلى الله عليه وسلم في دعوة وفود الحج والقبائل إلى نصرته، فهيـأ الله لـه الأوس والخزرج الذين استجابوا لله ونصروا رسوله وبايعوه على الإسلام في بيعـة العقبـة الأولى، ثم على النصرة والحماية في بيعة العقبة الثانية في السنة الثالثة عشرة مـن البعثة، فأذن صلى الله عليه وسلم لأصحابه بالهجرة إلى المدينة، ثم تبعهم بعد إذن الله له ومعه صاحبه أبا بكر الصديق، فقد خرج صلى الله عليه وسلم من مكة وهي أحـبُّ البلاد إليه ولكن أهلها أخرجوه، وقد وعده ربه أن يعيده إلى مكة[1] في قوله تعـالى : ﴿إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد﴾، ولهذا عمل صلى الله عليه وسلم على التخطيط لفتح مكة، بنشر الإسلام، والجهاد في سبيل الله في أنحاء الجزيـرة، ومـما فعله صلى الله عليه وسلم من الأسباب لفتح مكة أنه أعلن في السنة الـسادسة مـن الهجرة أنه يريد العمرة وزيارة البيت الحرام، فأحرم صلى الله عليه وسلم ومعه ألـف وأربعمائة من أصحابه، لكن قريشاً صدته ومنعته، ففاوضهم، وتم الصلح بينه وبيـنهم بوضع الحرب عشر سنين، ومن أراد أن يدخل في حلف محمد من قبائل العرب دخـل،

(*) أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة أم القري بمكة المكرمة.

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، تفسير سورة القصص آية (٨٥)، حديث رقم ٤٧٧٣

ومن أراد أن يدخل في حلف قريش دخل، فكان هذا الصلح فتحاً عظيماً كما سماه الله سبحانه وتعالى،وأنزل عليه منصرفه من الحديبية سورة الفتح : ﴿ إنا فتحنا لك فتحاً مبينا[٢] ﴾

لكن قريشاً نقضت العهد بعد اقل من سنتين، مما هيأ الأسباب ويسر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة. وقد عرضتُ في هذا البحث لسبب نقض الصلح ، واستعداد النبي صلى الله عليه وسلم لفتح مكة بدعوة القبائل التي أسلمت لمشاركته في الفتح.

ثم وصفت طريق تحركه إلى مكة حتى نزل مرّ الظهران، ثم إرسال النبي صلى الله عليه وسلم بالأمان إلى أهل مكة مع أبي سفيان، وقد اتخذ صلى الله عليه وسلم من الأسباب والوسائل ما يحقق الفتح من غير وقوع قتال في البلد الحرام، ثم ذكرت دخوله مكة وتعظيمه البلد الحرام وطوافه بالبيت وتطهيره من الأصنام والشرك ، ودخوله الكعبة المشرفة وصلاته فيها، ثم وقوفه على باب الكعبة والمشركون في صحن المطاف مستسلمون، وإعلانه صلى الله عليه وسلم العفو عنهم، وبيان حرمة مكة، وأن الله قد أباح له القتال فيها ساعة من نهار ثم عادت حرمتها كما كانت، وأوضحت الأعمال التي قام بها الرسول صلى الله عليه وسلم لترتيب أوضاع مكة، وبعض الفتاوى والقضايا التي أوضحها وحكم فيها، ومبايعة أهل مكة له صلى الله عليه وسلم. وكذا بيان السرايا التي تلت الفتح الأعظم والتي كانت حول مكة للدعوة إلى الله وتحطيم الأصنام والطواغيت الكبار التي كانت تعظم عند قريش وغيرها من القبائل.

وقد سلكتُ في الدراسة الجانب الوصفي للأحوال والأماكن، حتى يتصور القارئ المشهد كما هو ، وقد ختمت البحث بجملة من الدروس والعبر المستفادة من الفتح الأعظم وما تلاه من السرايا.

وأسأل الله أن يكون نافعاً للباحث وللقارئ الكريم، وأن يجعله من العمل الخالص المتقبل والحمد لله رب العالمين.

نقض قريش للعهد وخروج أبي سفيان لتجديد الصلح وإخفاقه :

كان من شروط صلح الحديبية أن من شاء من القبائل أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل، ومن شاء أن يدخل في عقد قريش وعهدها دخل. فدخلت خزاعة في عقد النبي ﷺ وكانوا حلفاء لجده عبد المطلب وكان فيهم إسلام. ودخل بنو بكر إحدى

---

(٢) سورة الفتح آية (١).

القبائل الكنانية في عقد قريش[٣]. وديار بني بكر و خزاعة متداخلة ومتجاوره حول مكة شمالاً وجنوباً، وقد كان بينهم ثأر من قبل البعثة النبوية، حيث عدت خزاعة على مالك بن عباد أحد بني الحضرمي وهم حلفاء الأسود بن رزن من بني الدئل من بكر فقتلته، فعدت بنو بكر على رجل من خزاعة فقتلوه، فردّت خزاعه بقتل ثلاثة من أشراف بني بكر من بني الأسود بن رزن، هم : سلمى، وكلثوم، وذؤيب، وذلك بعرفة عند أنصاب الحرم، وكان بنو الأسود لشرفهم في كنانة يؤدون ديتين ديتين[٤]، وقد حجز بينهم الإسلام وتشاغل الناس به وهم على هذه الحال. ولما وقعت الهدنه ودخلت خزاعة في حلف النبي ﷺ، استعدت بنو بكر قريشاً على خزاعة ليأخذوا بثأرهم فوافقهم بعض القرشيين وأعانوهم بالسلاح والرجال، واستغلوا فرصة الهدنة فعدوا على خزاعة ليلاً على غرة عند ماء لهم أسفل مكة يسمى الوتير، ويذكر الواقدي أن آخر ما كان بين خزاعة وكنانة من الأحداث، أن أنس بن زنيم الديلى هجا رسول الله ﷺ فسمعه غلام من خزاعة فوقع به وشجه فثار الشر بينهم مع ما كان من العداوة[٥] السابقة.

وقد لجأت خزاعة عند عدوان بني بكر عليهم إلى الحرم، لكن رئيس بني بكر نوفل بن معاوية الدئلي أمر بني بكر بقتلهم حتى ولو دخلوا إلى حدود الحرم، وقال : – كلمة كبيرة لما ذكره قومه بحرمة مكة وإلهه – لا إله له اليوم، يا بني بكر خذوا بثأركم[٦].

ولجأ الخزاعيون بعد دخولهم مكة إلى دار بديل بن ورقاء الخزاعي، وحليف لهم يسمى رافعاً، وقتل في هذه العدوة ثلاثة وعشرون رجلاً من خزاعة[٧].

وقد قدم الخزاعيون على رسول الله ﷺ في المدينة ليعلموه بما وقع عليهم، وطلبوا منه النصر، منهم بديل بن ورقاء، وعمرو بن سالم، وأنشد عمرو بن سالم بين يدي رسول الله ﷺ قصيدته.

اللهم إني ناشد محمداً حلف أبينا وأبيه الأتدا

---

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية ٤/٣٠ بإسناد صحيح، تاريخ الطبري، ٣/ ٤٣ والبيهقي، دلائل النبوة ٥/٦.

(٤) ابن هشام، المصدر نفسه ٤/٢٩، تاريخ الطبري ٣/٤٣، الواقدي المغازي ٢/٧٨١. ومعنى يودون: يدفعون دية القتيل.

(٥) المغازي ٢/٧٨٢.

(٦) ابن هشام، المصدر نفسه ٤ / ٣٠، وابن كثير، السيرة النبوية ٣ / ٥٢٨.

(٧) الواقدي، المغازي ٢ / ٧٨٤ و ٧٨٧.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إن قريشـــاً أخلفوك الموعدا ونقضوا ميثـــاقك المؤكـدا

فانصر هداك الله نصراً أعتدا وادع عباد الله يـأتوا مـددا

فقال رسول الله ﷺ (نصرت يا عمرو بن سالم[٨]) ثم عرض لرسول ﷺ عنـان من السماء فنظر إليها وقال : (إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب)[٩]

ويذكر الواقدي أن رسول الله ﷺ قال للوفد الخزاعي ارجعوا إلى دياركم وتفرقوا في الأودية والبلدان[١٠].

وكانت المدة بين عقد صلح الحديبية وهذه الأحداث سـبعة عـشر شـهراً، أو ثمانية عشر شهراً[١١].

وقد ندمت قريش على ما وقع منها في معاونة بني بكر، وخشيت أن يبلغ ذلـك النبي ﷺ، وقد قال رسول الله ﷺ لأصحابه (كأنكم بأبي سفيان قد جاء ليـشد العقـد ويزيد في المدة)[١٢] فأرسلت قريش أبا سفيان للنبي ﷺ، وفي الطريق لقي بـديل بـن ورقاء مع رجال من خزاعة عند عسفان وتوقع أنه راجع من المدينة، فسأله لكن بديلاً أخفى عليه أمره، ثم ذهب إلى مبرك إبلهم وأخذ بعرة ففتها ووجد فيها النوى، فـأدرك أن القوم جاءوا من المدينة.

ولما وصل المدينة لقي رسول الله ﷺ في المسجد، وطلب منه أن يـشد العهـد ويزيد في المدة لكن رسول الله ﷺ لم يرد عليه شيئاً[١٣]. وعند الواقدي أن رسول الله ﷺ قال له : هل كان قبلكم حدث ؟ قال معاذ الله. فقال رسول الله : فنحن علـى مـدتنا وصلحنا يوم الحديبية، لا نغير ولا نبدل[١٤].

---

(٨) ابن هشام، السيرة النبوية ٤ / ٣٥ والشعر عند الواقـدي ٢ / ٧٨٩ والطبـري ٣/٤٥، ومعنى الأتلد: القديم وانظر لتخريج الحديث مجمع الزوائد ١٦٣/٦

(٩) الهيثمي، مجمع الزوائد ١٦٤/٦ وبنو كعب هم خزاعة.

(١٠) المغازي ٢/ ٧٩١، وانظر ابن كثير ٣/ ٥٣٢.

(١١) ابن كثير، السيرة النبوية ٣ / ٥٢٦ ويذكر الواقدي (المغـازي ٢/ ٧٨٣) أن نقـض العهد كان في شهر شعبان (أي سنة ثمان) وذلك على رأس ٢٢ شهراً من عقد الصلح.

(١٢) ابن هشام، المصدر نفسه ٣٥/٤ وانظر الواقدي ٧٩١/٢ وتاريخ الطبري ٤٥/٣.

(١٣) ابن هشام، المصدر نفسه ٤/ ٣٦.

(١٤) المغازي ٢ / ٧٩٢ ونسبه ابن كثير في السيرة ٥٣٢/٢ لموسى بن عقبه.

ودخل أبو سفيان على ابنته أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها، فطوت فراش رسول الله ﷺ عنه، ثم خرج إلى الصديق، ثم إلى عمر، وإلى علي يستشفع بهم عند رسول الله ﷺ فلم يجيبوه، وقال لفاطمة رضي الله عنها : أجيري بين الناس، أو مري ابنك يجير بين الناس فقالت : إنه لا يجير أحد على رسول الله ﷺ، ثم قال له علي بعد أن كلّت حيلته: قم أنت فأجر بين الناس، فقام أبو سفيان وقال : اشهدوا أني أجرت بين الناس. فقال رسول الله : أنت تقول ذلك يا أبا سفيان، فلم يقبل إجارته فعاد من غير نتيجة(١٥).

خروج الرسول ﷺ لفتح مكة

- الاستعداد لفتح مكة :

أخذ الرسول ﷺ في الاستعداد لفتح مكة، وقال لعائشة : جهزينا وأخفي أمرك، وأمر ﷺ بحراسة الأنقاب والطرق فلا يخرج أحد أو يدخل إلا وهو معلوم، وكان عمر بن الخطاب هو القيم على الأنقاب(١٦)، وكل من سلك إلى مكة فإنه يتحفظ به ويسأل عنه(١٧).

ودخل أبو بكر على عائشة وهي تجهز رسول الله ﷺ تعمل قمحاً سويقاً ودقيقاً وتمراً، فقال : أهمّ رسول الله بغزو ؟ فقالت : ما أدري.

فجاء رسول الله ﷺ فقال له أبو بكر : يا رسول الله أردت سفراً ؟ قال رسول الله : نعم.

قال : أفأ تجهز ؟ قال : نعم. فقال أبو بكر : وأين تريد يا رسول الله ؟ قال : قريشاً وأخف ذلك يا أبا بكر(١٨).

وبعث رسول الله ﷺ أبا قتادة الأنصاري في ثمانية نفر إلى بطن إضم، ليظن ظان أن رسول الله ﷺ يريد تلك الناحية وتذهب بذلك الأخبار(١٩)) ودعا رسول الله ﷺ

---

(١٥) انظر تفصيل ذلك عند ابن هشام ٤/ ٣٧ -٣٧ و مغازي الواقدي ٢ / ٧٩٣ - ٧٩٥.
ومعنى كلّت حيلته : عجزت
(١٦) الأنقاب : الطرق في الحرة.
(١٧) مغازي الواقدي ٢ / ٧٩٦.
(١٨) المصدر نفسه.
(١٩) المصدر نفسه ٢ / ٧٩٧.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ربه أن يعمي على قريش الأخبار[٢٠]، فلا يعلمون عنه حتى يفجأهم بمكة وهم على غير استعداد، مما يجعلهم يستسلمون من غير قتال، إعظاما منه ﷺ لمكة وحرمتها.

• كتاب حاطب إلى قريش :

وقد علم بعض خواص الصحابة بقصد النبي ﷺ ووجهته، ومنهم حاطب بن أبي بلتعة،([٢١]) وهو من المهاجرين، وممن شهد بدراً، وله بمكة مال وأهل، فأراد أن يتخذ عند أهل مكة يداً ليحفظ ماله وأهله، فكتب لهم كتاباً، وسمى الواقدي ثلاثة نفر كتب لهم حاطب هم : صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، وعكرمة بن أبي جهل، وأرسله مع امرأة من مزينة تسمى كنود، وجعل لها ديناراً على أن تبلغ الكتاب[٢٢]، وقال : أخفيه ما استطعت ولا تمري على الطريق فإن عليها حراسا، فسلكت المرأة على غير نقب فأخذت على يسار المحجة المعروفة من فلوق الحرة حتى لقيت الطريق بالعقيق[٢٣].

وأطلع الله رسوله ﷺ على ما فعله حاطب، فبعث علياً والزبير والمقداد وقال : (انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ[٢٤]فإن بها ضعينة[٢٥]، ومعها كتاب فخذوه منها) قال علي : فانطلقنا تعادى بنا خيلنا، حتى انتهينا إلى الروضة، فإذا نحن بالضعينة، فقلنا : أخرجي الكتاب. فقالت : ما معي من كتاب، فقلنا : لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب، فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه : من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ فقال رسول ﷺ : يا حاطب، ما هذا ؟ قال يا رسول الله لا تعجل عليّ، إني كنت امرءً ملصقاً[٢٦] في قريش ولم أكن من أنفسها، وكان مَن معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون

---

(٢٠) ابن هشام ٤ / ٣٨ ومغازي الواقدي ٢ / ٧٩٦. ومعنى يعمي : يخفي ويحجب.

(٢١) حاطب بن أبي بلتعة عمرو بن راشد بن معاذ اللخمي، حليف قريش، أسلم وهاجر وشهد بدراً والحديبية، وبعثه النبي ﷺ بكتابه إلى المقوقس صاحب الإسكندرية، فأتاه من عنده بهدية منها مارية القبطية أم إبراهيم، ومات رضي الله عنه بالمدينة سنة ثلاثين عن خمس وستين سنة، وصلى عليه عثمان بن عفان رضي الله عنه الطبقات الكبرى (٣/١١٤) والإصابة ١/٢٠٠.

(٢٢) ذكر الواقدي رواية أخرى (٢/ ٧٩٩) وسمى المرأة سارة وأنه جعل لها عشرة دنانير.

(٢٣) المصدر السابق ٢/٧٩٨ و ٧٩٩. والمحجة : الطريق العام والرئيس.

(٢٤) في رواية ابن إسحاق في السيرة ٤/ ٣٩ فأدركناها بالخليقة، خليقة بني أحمد، وكذا في مغازي الواقدي ٢/٧٩٨.

(٢٥) الضعينة : المرأة

(٢٦) ملصقاً : حليفاً

بها أهليهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن اتخذ عندهم يداً يحمون بها قرابتي، ومافعلت كفراً ولا ارتداداً، ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله ﷺ : قد صدقكم(٢٧)

وقد تجاوز عنه النبي ﷺ لما ظهر له من صدقه وعدم موالاته للكفار، ولما له من السابقة في الإسلام وشهود بدر والحديبية، وقد أوجب الله لمن شهدهما الجنة، مع أن فعله يعتبر خيانة، لكن كفى الله المؤمنين شرها بكشف أمره قبل أن يصل الخبر إلى العدو.

- **مسير الرسول ﷺ إلى مكة :**

لما عزم رسول الله ﷺ على الخروج إلى مكة أبان عن نيته في الغزو ولم يحدد وجهته، وأرسل إلى أهل البادية وإلى من حوله من المسلمين يقول لهم : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة، وبعث رسول الله ﷺ رسله في كل ناحية، حيث أرسل أسماء، وهند ابني حارثة الأسلميان إلى قبيلة أسلم.

وأرسل جندباً، ورافعاً ابني مكيث إلى جهينة. وأرسل إياس بن رحضة، وأبا رهم كلثوم ابن الحصين الغفاري إلى بني غفار وضمرة. وبعث معقل بن سنان، ونعيم بن مسعود إلى أشجع. وبعث بلال بن الحارث، وعبد الله بن عمرو المزني إلى مزينة. وبعث الحجاج بن عِلاط السُلمي، وعرباض بن سارية إلى سُليم. وبعث بسر بن سفيان، وبديل بن ورقاء إلى بني كعب من خزاعة(٢٨). ويظهر من بعض الروايات التي أوردها الواقدي(٢٩) أن رسول الله ﷺ لم يظهر مقصده من هذا الغزو لكل الناس، وقد أوهم قبل ذلك بإرسال سرية إلى بطن إضم. وخرج ﷺ في العشر الأول من رمضان، واستخلف على المدينة أبا رهم كلثوم بن الحصين بن عتبة بن خلف الغفاري(٣٠) وعسكر ﷺ ببئر أبي عنبة حتى اجتمع له الناس، وفي رواية عند الصلصل(٣١)، ثم تقدم ﷺ إلى العرج.

---

(٢٧) انظر صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب الجاسوس حديث رقم ٣٠٠٧ وأخرجه في مواضع أخرى حديث ٣٠٨١ و ٦٢٥٦ و٦٩٣٩ ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل أهل بدر ح ١٦١.

(٢٨) الواقدي، المغازي ٢ / ٧٩٩ - ٨٠٠.

(٢٩) المصدر نفسه ٢ / ٨٠٢.

(٣٠) ابن هشام ٤/ ٤٠١ وسيرة ابن كثير، عن ابن إسحاق ٣ / ٥٤٠، وذكر ابن سعد في الطبقات ٢ / ١٢٥ أنه استخلف عبد الله ابن أم مكتوم.

(٣١) الواقدي ٢ / ٨٠٠ و ٨٠١. وأجممنا السيوف : أرحناها. وج : وادٍ بالطائف

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكان الجيش منهم الصائم ومنهم المفطر، وقد أراد كعب بن مالك أن يعرف وجهة النبي ﷺ فألقى بين يديه هذه الأبيات

قضينا من تهامة كل ريب ... وخيبر ثم أجممنا السيوفا
نسائلها ولو نطقت لقالت ... قواطعهن دوساً أو ثقيفاً
فلست لحاضر إن لم تروها ... بساحة داركم منها ألوفاً
فننتزع الخيام ببطن وجٍ ... ونترك دونهم منها خلوفا

فتبسم رسول الله ﷺ ولم يزد على ذلك(٣٢).

وقد سمع عيينة بن حصن الفزاري بمخرج النبي ﷺ وهو في أهله بنجد، فجاء في نفر من قومه إلى المدينة فوجد النبي ﷺ قد خرج قبله بيومين، فأسرع وسلك على ركوبة، وسبق إلى العرج، فلما جاء إلى النبي ﷺ سأله : أين وجهك يا رسول الله ؟ قال : حيث يشاء الله. ثم جاءه الأقرع بن حابس بالسقيا في عشرة من قومه فساروا معه(٣٣).

وقد جعل رسول الله ﷺ بين يديه طليعة، فوجدت الطليعة بين العرج والطلوب رجلاً ادعى أنه من غفار، فلما حققوا معه اتضح أنه من هوازن، أرسله قومه عيناً يأتي بخبر النبي ﷺ، فا ستخبره رسول الله ﷺ عن هوازن فأخبره أنهم جمعوا له جمعاً هم وثقيف، وأنهم أرسلوا إلى جرش في عمل الدبابات والمنجنيق، فأمر النبي ﷺ بأن يتحفظ عليه، وبقي معهم إلى أن تم فتح مكة، ثم إنه أسلم وشارك في غزوة حنين(٣٤). كما ذكر الواقدي رواية عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم، أن رسول الله ﷺ لما كان بين العرج والطلوب، نظر إلى كلبة تهر على أولادها وهم حولها يرضعونها، فأمر رجلاً من أصحابه يقال له: جعيل بن سراقة أن يحرسها لئلا يعرض لها أحد من الجيش(٣٥).

- **عقد الألوية والرايات :**

وتختلف الروايات في المكان الذي عقد فيه النبي ﷺ الألوية والرايات، فيذكر الواقدي أنه عقد الرايات عندما عسكر ببئر أبي عنبة، ويذكر رواية أخرى أنه ﷺ لم

---

(٣٢) المصدر نفسه ٢ / ٨٠٢.
(٣٣) المصدر نفسه ٢/٨٠٣
(٣٤) المصدر نفسه ٢/٨٠٤
(٣٥) المصدر نفسه ٢/٨٠٤ وانظر ترجمة جعيل بن سراقة الضمري في الاستيعاب لابن عبد البر. وفي القصة رحمة النبي ﷺ وشفقته بالحيوان.

يعقد الرايات إلا في قديد، ثم يعطي الواقدي تفصيلات عن عدد الرايات وأصحابها وعدد المشاركين من كل قبيلة كما يلي[٣٦] :-

١- المهاجرون، على ثلاث رايات : راية مع الزبير، وراية مع علي، وراية مع سعد بن أبي وقاص، عددهم (٧٠٠) وخيلهم (٣٠٠) فرس.

٢- الأوس، على سبع رايات : راية مع أبي نائلة من بني عبد الأشهل، وراية مع قتادة بن النعمان من بني ظفر، وراية مع أبي بردة بن نيار من بني حارثة، وراية مع جبر بن عتيك من بني معاوية، وراية مع أبي لبابة بن عبد المنذر من بني خطمة، وراية مع مبيض من بني أمية، وراية مع أبي أسيد من بني ساعدة.

٣- الخزرج على خمس رايات : راية مع عبد الله بن زيد من بني الحارث، وراية مع قطبة بن عامر بن حديدة من بني سلمة، وراية مع عمارة بن حزم من بني مالك بن النجار، وراية مع سليط بن قيس من بني مازن، وراية في بني دينار.

وعدد الأنصار جميعاً (٤٠٠٠) رجل، ومعهم من الخيل (٥٠٠) فرس.

٤- مزينة، وهم على ثلاثة ألوية : لواء مع النعمان بن مُقَرِّن، ولواء مع بلال بن الحارث، ولواء مع عبد الله بن عمرو عددهم (١٠٠٠) رجل ومعهم (١٠٠) فرس.

٥- أسلم، ولهم لواءان : أحدهما مع بريدة بن الحصيب، و الأخر مع ناجية بن الأعجم عددهم (٤٠٠) رجل ومعهم (٣٠) فرسا.

٦- جهينة، وهم على أربعة ألوية : لواء مع سويد بن صخر، ولواء مع ابن مكيث، ولواء مع أبي زرعة، ولواء مع عبد الله بن بدر، عددهم (٨٠٠) رجل ومعهم (٥٠) فرساً.

٧- بنو كعب بن عمرو الخزاعيون، على ثلاثة ألوية : لواء مع بسر بن سفيان، ولواء مع ابن شريح، ولواء مع عمرو بن سالم وعددهم (٥٠٠) رجل.

٨- بنو سُليم وعددهم (٩٠٠) وقيل ألف، وكلهم خيالة، نفروا مع الرسولين اللذين بعثهما لهم رسول الله ﷺ، الحجاج بن علاط، والعرباض بن سارية، ولقوه في قديد ومعهم لواءان وخمس رايات، فجعلهم رسول الله في مقدمته حتى نزلوا مَرّ الظهران[٣٧].

---

(٣٦) المغازي ٢/٨٠٠ وعند ابن سعد في الطبقات ٢/١٢٥ أن عقد الرايات للقبائل كانت في قديد ولعلّ هذا هو الصواب.

(٣٧) المصدر نفسه ٢/٨١٢ و ٨١٣.

ولما رأى عيينة بن حصن، والأقرع بن حابس، عقد الألوية والرايات تأسفا أن لم يكن معهما قومهما ليشاركا في الغزوة ويعقد لهما النبي ﷺ الرايات كما عقد للقبائل المشاركة. وتوضح الروايات في كتب المغازي أن عدد المشاركين في غزوة الفتح عشرة آلاف[٣٨]، وبعضهم قال ثمانية آلاف[٣٩] وبعضهم قال اثنا عشر ألفاً[٤٠] والمشهور عشرة آلاف.

إسلام سفيان بن الحارث وعبد الله بن أبي أمية :

لما وصل النبي ﷺ في طريقه إلى مكان يسمى نيق العقاب لقيه ابن عمه سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وصهره عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة أخو أم سلمة بنت أبي أمية رضي الله عنها، وشفعت فيهما أم سلمة، فأذن لهما بالدخول عليه، وأسلما وعفى عنهما رسول الله ﷺ ما كانا يؤذيانه به في مكة، وأنشد أبو سفيان بين يديه ﷺ قصيدة يعتذر فيها عما حصل منه في سابق أيامه[٤١] منها قوله:

لعمرك أني يوم أحمل رايةً لتغلب خيل اللات خيل محمد

لكا لمدلج الحيران أظلم ليله فهذا أواني حين أُهدى وأهتدي

هداني هاد غير نفسي ونالني مع الله من طردتُ كل مُطَرَّد.

هجرة العباس بن عبد المطلب :

كان العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ من المدافعين عنه وقد حضر بيعة العقبة الكبرى مع رسول الله ﷺ، ثم خرج مع قومه قريش إلى بدر وأسر بها، ثم أطلقه النبي ﷺ كما أطلق غيره بعد أن دفع الفداء، ومازال بمكة لم يعلن إسلاماً مع أن زوجه أم الفضل وابنه عبدالله بن عباس قد أسلما، ثم إنه قبيل فتح مكة خرج بأهله مهاجراً إلى الله ورسوله ولقي النبي ﷺ ببعض الطريق كما ذكر ابن إسحاق[٤٢]،

---

(٣٨) ابن هشام ٤٠/٤ و الواقدي ٨١٥/٢ وابن سعد، الطبقات ١٢٩/٢،و البيهقي، دلائل النبوة ٢١/٥ وابن سيد الناس، عيون الأثر ٢١٧/٢ وابن كثير، السيرة النبوية ٥٢٩/٣

(٣٩) الطبقات الكبرى ١٢٩/٢ عن سعيد بن المسيب.

(٤٠) ابن كثير، السيرة النبوية ٥٢٩/٢، ونسبة إلى عروة، والزهري، وموسى بن عقبة.

(٤١) ابن هشام، السيرة ٤١/٤ و البيهقي، دلائل النبوة ٢٧/٥

(٤٢) ابن هشام ٤١/٤ والراجح أن إسلام العباس كان قبل فتح خيبر، انظر. محسن أحمد الدوم، مرويات فتح مكة، رسالة ماجستير بالجامعة الإسلامية غير منشوره ص ٩٨.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويحدد الواقدي[٤٣] المكان بالسقيا، بينما يحدده ابن هشام بالجحفه[٤٤]، فعاد مع رسول الله ﷺ وأرسل عياله إلى المدينة.

وفي الجحفة رأى الصديق رضي الله عنه رؤيا في المنام فقصها على رسول الله ففسرها النبي ﷺ بأنه قد ذهَب كَلَبُ قريش وأقبل دَرُّهم[٤٥].

المكان الذي أمر فيه رسول الله ﷺ الصحابة بالفطر :

ورد في صحيح البخاري عدة روايات عن المكان الذي أمر النبي ﷺ فيه الجيش بالفطر في رمضان بسبب السفر وشفقة منه عليهم، ففي حديث الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ سار هو ومن معه من المسلمين إلى مكة يصوم ويصومون حتى إذا بلغ الكديد – وهو ماء بين عسفان وقديد[٤٦] – أفطر وأفطروا[٤٧]

وفي رواية مجاهد عن طاووس عن ابن عباس قال : سافر رسول الله ﷺ فصام حتى بلغ عسفان ثم دعا بإناء من ماء فشرب نهاراً ليراه الناس، فأفطر حتى قدم مكة[٤٨]

وفي صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله قال : خرج رسول الله ﷺ عام الفتح صائما حتى أتى كراع الغميم....فقيل يا رسول الله إن الناس قد اشتد عليهم الصوم، وإنما ينظرون إليك كيف فعلت، فدعا رسول الله ﷺ بقدح فيه ماء فرفعه وشرب والناس ينظرون، فصام بعض الناس وأخبر النبي ﷺ، فقال : أولئك العصاة أولئك العصاة[٤٩] وأخرج البيهقي عن أبي سعيد الخدري قال : خرجنا صواماً حتى بلغنا الكديد، فأمرنا رسول الله ﷺ بالفطر، فأصبح الناس منهم الصائم ومنهم المفطر، حتى إذا بلغنا المنزل الذي نلقى العدو فيه أمرنا بالفطر فأفطرنا أجمعون[٥٠]

---

(٤٣) المغازي ٨١٢/٢

(٤٤) السيرة ٤١/٤

(٤٥) الواقدي، المغازي ٨١٢/٢. والمراد ذهب شرهم وأقبل خيرهم.

(٤٦) في رواية ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام ٤٠/٤ تحديد الكديد بأنه بين عسفان وأمج، وهذا أدق، فإن أمج هي خليص والمسافة بينها وبين عسفان، قصيرة، والكديد يقع بينهما.

(٤٧) صحيح البخاري، حديث رقم (٤٢٧٦)

(٤٨) المصدر نفسه، حديث رقم (٤٢٧٩)

(٤٩) صحيح مسلم، كتاب الصوم حديث رقم (٩٠)

(٥٠) دلائل النبوة ٢٤/٥

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتوضح رواية الترمذي عن أبي سعيد الخدري المنزل الذي أفطروا فيه جميعاً، يقول : لما بلغ النبي ﷺ عام الفتح مَرّ الظهران، فآذننا بلقاء العدو، فأمرنا بالفطر، فأفطرنا أجمعون[٥١]

فحصل من هذه الروايات أربعة أمكنة أفطروا فيها، ثلاثة متقاربة، الكديد، و عسفان، وكراع الغميم وأبعدها هو مَرّ الظهران – الجموم اليوم – وهو أقربها إلى العدو في مكة.

قال القاضي عياض بعد أن ذكر الأمكنة الثلاثة الأولى : اختلفت الروايات في الموضع والكل في قصة واحدة وكلها متقاربة، والجميع من عمل عسفان[٥٢]. وقال ابن حجر : فيه مجاز القرب[٥٣]: أي لقربها من بعض جاز الإطلاق على أي واحد منها، وهو جمع حسن.

معسكر الرسول ﷺ في مَرّ الظهران

١ – نزول جيش المسلمين في مَرّ الظهران :

سار رسول الله ﷺ نحو مكة حتى نزل بمَرّ الظهران – الجموم اليوم – وهي تبعد عن مكة نحو عشرين كيلو مترا، وامتد عمران مكة في الوقت الحاضر حتى كاد يتصل بها.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد أمر رسول الله ﷺ الجيش أن يوقد النيران فأوقدت عشرة آلاف نار حتى كان منظراً مبهراً وللعدو مرعباً[٥٤]. وقد عميت الأخبار على قريش فلا يأتيهم عنه خبر ولا يدرون ما رسول الله فاعل، وكانت خزاعة قد أخذت الطرق فلا تدع أحداً يمضي وراءها[٥٥]، وخرج أبو سفيان بن حرب، وحكيم بن حزام، ورغب في صحبتهما بديل بن ورقاء الخزاعي، – وكان مقيماً في مكة – يتحسسون الأخبار، وينظرون هل يجدون خبراً عن رسول الله ﷺ، وكان رسول الله قد جعل خيلاً أمامه يقتصون العيون، فوجدوا أبا سفيان وصاحبيه، فجاءوا بهم إلى رسول الله ﷺ [٥٦]. وعند ابن إسحاق أن العباس لما نزل رسول الله مَرّ الظهران، أخذ بغلة رسول الله

---

(٥١) سنن الترمذي، كتاب الجهاد باب (١٣) حديث رقم ١٦٨٤ وقال:هذا حديث حسن صحيح.

(٥٢) ابن حجر، فتح الباري ١٨١/٤

(٥٣) ابن حجر، فتح الباري ١٨١/٤

(٥٤) مغازي الواقدي ٨١٤/٢

(٥٥) ابن كثير، السيرة ٥٤٦/٣

(٥٦) مغازي عروة ص ٢١٠، و مغازي موسى بن عقبة ص ٢٧٢.

فخرج عليها ليلاً حتى دخل في غابة الأراك، لعله يجد بعض الحطّابة أو صاحب حاجة، ليرسله إلى مكة يخبرهم بمكان رسول الله ﷺ ليخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عليهم عنوة(٥٧).

قال العباس : فو الله إني لأسير عليها وألتمس ما خرجت له، إذ سمعت كلام أبي سفيان وبديل بن رقاء وهما تراجعان، وأبو سفيان يقول : ما رأيت كالليلة نيرانا قط ولا عسكرا. قال بديل : هذه والله خزاعة حمشتها الحرب، قال أبو سفيان : خزاعة أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها.

قال العباس : فعرفت صوت أبي سفيان فقلت : يا أبا حنظلة ؟ فعرف صوتي فقال : أبوالفضل؟ قال قلت : نعم. قال : مالك فداك أبي وأمي ؟!

قال ابن عباس : ويحك يا أبا سفيان، هذا رسول الله في الناس، واصباح قريش والله ! قال : فما الحيلة فداك أبي وأمي ؟ قال قلت : والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك، فاركب في عجز البغلة حتى تأتي رسول الله فأستأمنه لك، قال : فركب خلفي ورجع صاحباه(٥٨).

قال عروة، والزهري، وموسى بن عقبة، بل ذهبا مع ابن عباس ودخلا على رسول الله ﷺ وأسلما، وأخذ يستخبرهما عن أهل مكة(٥٩).

ولما نزل رسول الله ﷺ في مَرّ الظهران تفرق الصحابة في الأشجار يجتنون الكَبَاث (النضيج من ثمر الأراك) فقال رسول الله ﷺ : عليكم بالأسود منه، فإنه أطيب، فقالوا : يا رسول الله، أكنت ترعى الغنم ؟ قال : نعم وهل من نبي إلا وقد رعاها(٦٠).

وكان عبد الله بن مسعود أحد من اجتنى الكَبَاث، وكان الصحابة ينظرون إلى دقة ساقي ابن مسعود وهو يرقى في الشجرة ويعجبون. فقال رسول الله ﷺ : (تعجبون من دقة ساقيه فو الذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من جبل أحد(٦١)/ وكان ابن مسعود إذا اجتنى شيئا جاء به إلى رسول الله ﷺ ليختار منه ما يشاء، ثم قال ابن مسعود :

---

(٥٧) ابن هشام، السيرة ٤٣/٤ وابن كثير، السيرة ٥٤٦/٣. والأراك : شجر الحمض واحدته أراكة. (الجوهري، الصحاح، باب الكافي، فصل الألف.)

(٥٨) (ابن هشام ٤٣/٤) وله شاهد من حديث أبي هريرة عند مسلم (١٤٠٨/٣)

(٥٩) (ابن كثير، السيرة ٥٤٧/٣)

(٦٠) صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب الكباث، حديث رقم : ٥٤٥٣، باب ٣١، حديث ٣٤٠٦، وصحيح مسلم، كتاب الأشربة، حديث ٢٠٥٠.

(٦١) البيهقي، دلائل النبوة ٢٩/٥

هذا جناى وخيارُهُ فيه إذ كل جانٍ يده إلى فيه

وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال : أثرنا أرنباً ونحن بمر الظهران فسعى القوم فغَلِبُوا، وأدركتها فأخذتها، فأتيت بها أبا طلحة فذبحها، وبعث إلى الرسول ﷺ بوركها وفخذيها فقبله(٦٢).

وهذا يدل على أنهم ليسوا بمحرمين، حيث صادوا وأكل رسول الله من الصيد الذي صادوه، وفيه فتوة أنس رضي الله عنه وسرعته في الجري. وفي المكان الذي صلى فيه رسول الله ﷺ بمر الظهران بني مسجد فيما بعد عرف بمسجد الفتح.

٢- إسلام أبي سفيان بن حرب :

لما وجد العباس بن عبد المطلب أبا سفيان بن حرب أردفه خلفه على بغلة رسول الله ﷺ، وأشار عليه أن يقدم على النبي ﷺ ويطلب منه الأمان لأهل مكة، فجعل العباس كلما مَرّ على قوم قالوا : عم رسول الله على بغلته، حتى إذا مَرّ على نار عمر بن الخطاب عرف أبا سفيان بن حرب فقال : الحمد لله الذي أمكن منك من غير عهد ولا ميثاق، واستل سيفه ليضربه، فأسرع العباس، وجاء عمر يجري خلفه، فسبقه إلى رسول الله ﷺ، ثم دخل عمر فقال : يا رسول الله دعني أضرب عنق عدو الله أبا سفيان. فقال العباس : يا رسول الله إني قد أجرته، فقال النبي ﷺ للعباس : أذهب به معك فإذا أصبحت أُغد به عَليّ، فأخذه العباس إلى رحله، وبات عنده، ولما أُذن لصلاة الصبح ثار الناس إلى الوضوء ورأى أبو سفيان أمراً عجباً من الصحابة رضي الله عنهم في ابتدارهم وضوء النبي وتبركهم به فقال : ما رأيت يا أبا الفضل مُلكاً هكذا، لا مُلك كسرى، ولا مُلك بني الأصفر ! فقال العباس: ويحك، آمن قبل أن تضرب عنقك. قال : أدخلني عليه. فأدخله العباس على رسول الله ﷺ، فقال رسول الله : ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله ؟ فقال : بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ! والله لقد ظننت أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى عني شيئاً بعد.

وفي رواية عند الواقدي(٦٣)، أن أبا سفيان قال : يا محمد استنصرتُ إلهي، واستنصرت إلهك، فلا والله ما لقيتُك من مرة إلا ظفرتَ عليّ، فلو كان إلهي محقاً وإلهك مبطلاً غلبتك. ثم قال رسول الله ﷺ : يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله ؟ قال بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك !! أما هذه فإن في النفس منها حتى الآن شيئاً.

---

(٦٢) صحيح البخاري، كتاب الذبائح والصيد، باب الأرنب، ح ٥٥٣٥، ومسلم ح ١٩٥٣. وأثرنا : نَفَرنا.

(٦٣) مغازي الواقدي ٨١٦/٢

فقال العباس : ويحك أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.
قال : فتشهد شهادة الحق فأسلم(٦٤).

٣- عرض الجيش الإسلامي أمام أبي سفيان :

لما أسلم أبو سفيان في مَرّ الظهران، و أذن النبي ﷺ بتحرك الجيش الإسلامي نحو مكة، أمر العباس أن يأخذ أبا سفيان أمام الجيش ويحبسه عند مضيق الوادي إلى خطم الجبل بحيث يمر أمامه جميع الجيش على راياته وتشكيله العسكري، ليرى أبا سفيان قوة المسلمين واستعدادهم فييأس من المواجهة، وينقل الصورة كاملة لقريش، فتعجز عن المقاومة وتقبل الأمان وتستسلم لرسول الله ﷺ، فأخذه العباس إلى مضيق الوادي ثم عدل به إلى خطم الجبل فحبسه، فقال أبو سفيان : غدراً بني هاشم ؟ فقال العباس : إن أهل النبوة لا يغدرون ولكن لي إليك حاجة. فقال أبو سفيان : فهلا بدأت بها أولاً ليكون أفرخ لروعي!! فقال العباس : لم أكن أراك تذهب هذا المذهب(٦٥).

وعبأ رسول الله ﷺ أصحابه، ومرت القبائل على قادتها، والكتائب على راياتها، فكان أول من قدّم رسول الله ﷺ خالد بن الوليد في بني سُليم وهم ألف فيهم لواء يحمله عباس ابن مرداس السُلمي، ولواء يحمله خفاف بن ندبة، ورايه يحملها الحجاج بن علاط، فقال أبو سفيان: من هؤلاء يا عباس ؟ فيقول العباس: هؤلاء بنو سُليم. قال أبو سفيان: مالي ولسليم، فإذا حاذوه كبروا ثلاثا. ثم تمر القبيلة الأخرى، فيقول: من هؤلاء يا عباس ؟ فيقول : مزينة. قال أبو سفيان: مالي ولمزينة، حتى إذا نفدت القبائل ما تمر قبيلة إلا يسأل عنها، فإذا أخبره العباس يقول: ما لي ولبني فلان، حتى مَرّ رسول الله ﷺ في كتيبته الخضراء (وإنما سميت الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها) من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد، فقال : سبحان الله : يا عباس من هؤلاء ؟ قال العباس: هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار، قال : مالأحد بهؤلاء قبل و لا طاقة، والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيماً قال العباس : يا أبا سفيان، إنها النبوة، قال: فنعم إذن(٦٦).

ولما مرت كتيبة الأنصار قال سعد بن عبادة لأبي سفيان : اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة، فشكاه أبو سفيان إلى الرسول ﷺ، فعزله عن راية الأنصار وأعطاها الزبير بن العوام، كما في رواية موسى بن عقبة(٦٧).

---

(٦٤) ابن هشام ٤/٤٤
(٦٥) مغازي الواقدي ٢/٨١٨
(٦٦) ابن هشام، السيرة النبوية٤/٤٤، ٤٥ وعند البخاري بمعناه من مرسل عروة، حديث رقم (٤٢٨٠)
(٦٧) ابن كثير، السيرة ٣/٥٥٠

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفي رواية ذكرها الواقدي أن النبي ﷺ لما نزع الراية من سعد بن عبادة أعطاها لابنه قيس(٦٨).

قال ابن اسحاق : زعم بعض أهل العلم أن سعداً حين وجه داخلاً مكة قال : اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة، فسمعها رجل من المهاجرين قال ابن هشام : هو عمر بن الخطاب – فقال يا رسول الله : اسمع ما قال سعد بن عبادة، ما نأمن أن يكون له في قريش صولة. فقال رسول الله ﷺ لعلي : أدركه فخذ الراية منه فكن أنت الذي تدخل بها(٦٩).

دخول رسول الله ﷺ مكة وفتحها :

١ – رجوع أبي سفيان إلى مكة بالأمان :

أرسل رسول الله ﷺ إلى أهل مكة بالأمان فقال : من دخل المسجد الحرام فهو آمن، ومن دخل داره وأغلق بابه فهو آمن، فقال العباس : يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الشرف، فقال ﷺ : ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن(٧٠). فرجع أبو سفيان إلى مكة فصرخ بأعلى صوته : يا معشر قريش، هذا محمد جاءكم فيما لا قبل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، فقامت زوجته هند بنت عتبه تلومه على ما جاء به وقالت : قُبّحت من طليعة قوم. قال : ويلكم لا تغركم هذه من أنفسكم فإنه قد جاءكم ما لا قبل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، قالوا: وما تغني عنا دارك، قال : ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد الحرام(٧١).

وفي رواية موسى بن عقبة أن رسول الله ﷺ قال : من دخل دار أبي سفيان فهو آمن – وكانت بأعلى مكة – ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن – وكانت بأسفل مكة – ومن أغلق بابه فهو آمن(٧٢)

وقد قبل عامتهم الأمان إلا بعض نفر فيهم عكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أمية، وناس من بني بكر وهذيل، تلبسوا السلاح ويقسمون لا يدخلها عليهم عنوة.

---

(٦٨) المغازي ٨٢٢/٢ وله شاهد في صحيح البخاري من مرسل عروة حديث (٤٢٨٠)

(٦٩) ابن هشام ، المصدر السابق ٤٨/٤

(٧٠) ابن هشام ٤٥/٤ وله شاهد من حديث أبي هريرة عند مسلم، كتاب الجهاد والسير ١٤٠٧/٣

(٧١) المصدر السابق ٤٥/٤ – ٤٦

(٧٢) ابن كثير، السيرة النبوية ٥٤٨/٣

٢- دخول رسول الله ﷺ والجيش الإسلامي مكة :

تحرك الجيش الإسلامي من معسكره في مر الظهران إلى ذي طوى فعسكروا بها حتى تلاحق الناس، ووقف النبي ﷺ على راحلته بذي طوى معتجراً بشقة برد حبرة حمراء، واضعاً رأسه حتى إن عثنونه يمس واسطة الرحل تواضعاً لله على ما أنعم به عليه(٧٣).

وعند البخاري من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ دخل مكة يوم الفتح وعلى رأسه المغفر(٧٤)، وكان ﷺ راكباً على ناقته وهو يقرأ سورة الفتح يُرَجِّع، قال عبد الله بن مغفل : لولا يجتمع الناس حولي لرجّعت كما رجّع(٧٥).

وسأله أسامة بن زيد فقال : يا رسول الله أين تنزل غداً ؟ قال النبي ﷺ : وهل ترك لنا عقيل من منزل(٧٦)) وفي حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : منزلنا إن شاء الله إذا فتح الله، الخيف حيث تقاسموا على الكفر(٧٧) والمراد حيث تقاسمت قبائل قريش على مقاطعة النبي ﷺ وبني هاشم وحصارهم في الشعب قبل الهجرة عند خيف بني كنانة، كما جاء في رواية أخرى لحديث أبي هريرة(٧٨)، وهو الأبطح. ويحدد الواقدي منزل النبي ﷺ زمن الفتح أنه بالأبطح وُجَاه شعب أبي طالب حيث حصر رسول الله ﷺ (٧٩).

وقد قسّم النبي ﷺ جيشه إلى فرق ودخل مكة من أربع جهات(٨٠):

١- أمر خالد بن الوليد أن يدخل من اللّيط (الحفاير) من أسفل مكة، وكان خالد على المجنبة اليمنى وفيها أسلم وسُليم وغفار ومزينه وجهينه وقبائل العرب.

٢- وأمر الزبير بن العوام أن يدخل في بعض الناس من كُدى (جبل الكعبة) وكان على المجنبة اليسرى.

---

(٧٣) ابن هشام، السيرة ٤٦/٤ وله شاهد عند الحاكم في المستدرك ٤٧/٣ وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم.
(٧٤) المصدر نفسه حديث ٤٢٨٥
(٧٥) المصدر نفسه حديث ٤٢٨١ والترجيع ترتيل القراءة ورفع الصوت بها.
(٧٦) المصدر نفسه حديث ٤٢٨٢
(٧٧) المصدر نفسه حديث ٤٢٨٤
(٧٨) المصدر نفسه حديث ٤٢٨٥
(٧٩) مغازي الواقدي ٤٢٨/٢
(٨٠) ابن هشام،السيرة ٤٨/٤ و ٤٩ والأمر بالدخول من كداء، وكدى، في صحيح البخاري حديث ٤٢٨٠ و ٤٢٩٠ و ٤٢٩١

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٣- وأمر سعد بن عبادة أن يدخل في بعض الناس من كداء (الحجون) من حيث قال حسان في شعره :

عدمنا خيلنا إن لم تروها تثير النقع موعدها كداء[٨١]

٤- وتقدم أبو عبيدة بن الجراح بالصف - وهم المشاة - من المسلمين بين يدي رسول ﷺ حتى دخل من أذاخر، وأقبل حتى نزل بأعلى مكة وضربت لرسول الله هنالك قبة، وكانت في البطحاء عند مصب شعب أبي طالب.

وكان الزبير بن العوام قد سبق فركز الرايه عند أدنى بيوت مكة من البطحاء وهي أعلى مكة، وقد بني مسجد هناك فيما بعد سُمي مسجد الراية (مسجد خادم الحرمين الشريفين اليوم).

وركَز خالد بن الوليد رايته عند أدنى بيوت مكة من الجهة التي دخل منها وهي أسفل مكة، ومكان الراية اليوم مسجد خالد بن الوليد في حارة الشبيكة قبل الخروج من ريع الرسام.

وقد لقي خالد بن الوليد مقاومة مما اضطره للرد عليهم، وقُتِل من المشركين قرابة اثني عشر أو ثلاثة عشر رجلاً[٨٢] وقُتِلَ من أصحابه ثلاثة هم : خنيس بن خالد الخزاعي، وكرز بن جابر الفهري، وسلمة بن الميلاء الجهني. وطاردهم خالد حتى أوصلهم إلى الخندمة فانهزموا وقتلوا بالحزورة حتى بلغ قتلهم باب المسجد الحرام، وفي ذلك يقول حماس بن قيس بن خالد البكري الذي وعد زوجته بأن يخدمها بخادم من المسلمين إذا جاؤا مكة :

إنك لو شهدت يوم الخندمة إذ فرّ صفوان وفَرّ عكرمة

وأبو يزيد قائم كالمؤتمة واستقبلتهم بالسيوف المسلمة

يقطعن كل ساعد وجمجمة ضرباً فلا يسمع إلا غمغمه

لهم نهيت خلفنا وهمهمة لم تنطقي في اللوم أدنى كلمة[٨٣]

---

(٨١) البيهقي، دلائل النبوة ٦٦/٥

(٨٢) ابن هشام، السيرة ٥٠/٤ وفي مغازي موسى بن عقبة ص ٢٧٤ أن عدد القتلى من بني بكر قرابة العشرين، ومن هذيل ثلاثة أو أربعه.

(٨٣) المصدر السابق ٥٠/٤ وانظر تاريخ الطبري ٥٨/٣ والسيرة النبوية لابن كثير ٥٦٢/٣

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ورأى النبي ﷺ بارقة السيوف فقال : ما هذا ؟ ألم أنه عن القتال ؟ فقالوا : خالد بن الوليد قوتل فقاتل، ولما انصرف الناس إلى بيوتهم والى المسجد الحرام توقف القتال(٨٤).

وفي رواية أبي هريرة رضي الله عنه عند مسلم أن رسول الله ﷺ قال له : اهتف لي بالأنصار، قال : فأطافوا به ووبّشت قريش أوباشاً لها وأتباعاً، فقال رسول الله ﷺ : ترون إلى أوباش قريش وأتباعهم، ثم قال بيديه إحداهما على الأخرى، ثم قال : حتى توافوني بالصفا.

قال : فا نطلقنا، فما شاء أحدمنا أن يقتل أحداً إلا قتله. وما أحد منهم يوجه إلينا شيئاً قال : فجاء أبو سفيان فقال : أبيحث خضراء قريش لا قريش بعد اليوم(٨٥).

فهذه الرواية فيها إشارة إلى إذن النبي ﷺ للأنصار بأن يقتلوا من يتعرض لهم حتى يلقوا رسول الله عند الصفا، ولكن الأنصار لم يجدوا مقاومة الإ شيئاً يسيراً لم يقف لهم.

وكان ﷺ قد أهدر دماء بعض الأشخاص وأمر بقتلهم ولو وجدوا متعلقين بأستار الكعبة وذلك بسبب جرائم ارتكبوها في حق الإسلام والمسلمين.

قال الحافظ ابن حجر: وقد جمعت أسماءهم من مفرقات من الأخبار وهم :

عبد العزى بن خطل، وعبد الله بن سعد بن أبي السرح، وعكرمة بن أبي جهل، والحويرث بن نقيد، ومقيس بن صبابة، وهبار بن الأسود، وقينتان كانتا تغنيان بهجاء النبي ﷺ، وسارة مولاة بني المطلب وهي التي وجد معها كتاب حاطب، والحارث بن طلاطل الخزاعي، وكعب بن زهير، ووحشي بن حرب، وهند بنت عتبة، وأرنب مولاة ابن خطل، وأم سعد.

قال : فكملت العدة ثمانية رجال وست نسوة، ويحتمل أن تكون أرنب وأم سعد هما القينتان، اختلف في اسميهما أو باعتبار الكنية واللقب(٨٦).

وقد بين الحافظ ابن حجر مصير كل واحد منهم، فعبد العزى بن خطل، قتل وهو متعلق بأستار الكعبة، قتله سعيد بن حريث المخزومي وأبو برزة الأسلمي، اشتركا في قتله، وأما الحويرث فكان شديد الأذى لرسول الله ﷺ فقتله علي بن أبي طالب يوم

---

(٨٤) مغازي موسى بن عقبه ص٢٧٥ وانظر دلائل النبوة للبيهقي٤٤/٥ وفتح الباري ١١/٨

(٨٥) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ما جاء في فتح مكة ١٤٠٦/٣

(٨٦) فتح الباري ١١/٨ ويلاحظ أن الرجال المذكورين تسعة.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفتح، وأما مقيس فكان أسلم ثم عدا على رجل من الأنصار فقتله ثم ارتد، فقتله نميلة بن عبد الله يوم الفتح، وأما هَبار فكان شديد الأذى للمسلمين، وعرض لزينب بنت رسول الله ﷺ لما هاجرت فنخس بعيرها فأسقطت، ولما كان يوم الفتح أعلن إسلامه فعفا عنه رسول ﷺ. وأما الحارث بن الطلاطل فقتله علي بن أبي طالب يوم الفتح، والقينتان استؤمن لإحداهما فأسلمت، وقتلت الأخرى، وأما سارة فأسلمت وعفا عنها رسول الله ﷺ وعاشت إلى خلافة عمر، وأما عبد الله بن سعد، وعكرمة بن أبي جهل فقد استؤمن لهما من رسول الله ﷺ فأمنهما، وأسلما، وكذلك كعب بن زهير، ووحشي، وهند بنت عتبة، لما أسلموا عفا عنهم رسول الله ﷺ، وكان ﷺ لا يرد أحداً جاءه مسلماً وشعاره يوم الفتح (اليوم يوم المرحمة).

وفي بعض ما ذكر الحافظ ابن حجر نظر، فإن عكرمة، وكعب بن زهير، ووحشي، لم يرد نص صحيح في إهدار دمائهم، ولكنهم خافوا وهربوا، ثم جاءوا تائبين مسلمين، فقبلهم رسول الله ﷺ، وهند جاءت مع عامة النساء وبايعت وهي خائفة لكن رسول الله ﷺ عفا عنها وقبل إسلامها.

الرسول ﷺ في مكة بعد الفتح :

١- الطواف بالبيت :

كان النبي ﷺ قد نزل في القبة التي ضربت له بأعلى مكة في البطحاء، واغتسل هناك فقد أخرج ابن إسحاق، عن أم هانئ بنت أبي طالب قالت : لما نزل رسول الله بأعلى مكة، فرّ إليّ رجلان من أحمائي من بني مخزوم، وكانت أم هاني عند هبيرة بن أبي وهب المخزومي وهما - كما قال ابن هشام - : الحارث بن هشام، وزهير بن أبي أمية بن المغيرة. قالت : (فدخل عليّ أخي علي بن أبي طالب فقال : والله لأقتلنهما، فأغلقت عليهما باب بيتي، ثم جئت رسول الله ﷺ وهو بأعلى مكة، فوجدته يغتسل من جفنة - إن فيها لأثر العجين - وفاطمة ابنته تستره بثوبه، فلما اغتسل، أخذ ثوبه فتوشح به ثم صلىّ ثماني ركعات من الضحى، ثم انصرف إليّ فقال : مرحباً وأهلاً يا أم هانئ، ما جاء بك ؟ فأخبرته خبر الرجلين وخبر عليّ فقال : قد أجرنا من أجرت، وأمّنا من أمنت، فلا يقتلهما[٨٧]).

---

(٨٧) ابن هشام، السيرة ٥٤/٤ والخبر في صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ١٥٧/٢

وفي صحيح البخاري أن النبي ﷺ اغتسل في بيتها وصلّى ثماني ركعات يوم فتح مكة.(٨٨)

وعند الواقدي عن عطاء قال : بعد أن هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة لم يدخل بيوت مكة، اضطرب بالأبطح (إي ضربت له خيمة) في عمرة القضية، وعام الفتح، وفي حجته(٨٩)) وذكر أنه كان يأتي لكل صلاة – أي إلى المسجد الحرام –، ومعه في فتح مكة من زوجاته ؛ أم سلمة، وميمونة(٩٠).

ولما اطمأن الناس خرج ﷺ من منزله حتى جاء البيت فطاف به سبعاً على راحلته، يستلم الركن بمحجن في يده(٩١) ويعطي الواقدي – على عادته – تفاصيل أوسع فيقول(٩٢): مكث رسول الله ﷺ في منزله ساعة من نهار حتى أطمأن واغتسل، ثم دعا براحلته القصواء فأدنيت إلى باب قبته، ودعا للبس السلاح، والمغفر على رأسه، وقد صفّ له الناس. فركب راحلته، والخيل تموج بين الخندمة والحجون، ومَرّ رسول الله ومعه أبو بكر ببنات أبي أحيحة بالبطحاء حذاء منزل أبيهن، وقد نشرن رؤسهن يلطمن وجوه الخيل بالخمر، فنظر رسول الله ﷺ إلى أبي بكر فتبسم وذكر بيت حسان بن ثابت فأنشده أبو بكر

تظل جيادنا متمطرات يلطمهن بالخمر النساء

وكان ﷺ قد بعث عمر بن الخطاب من البطحاء ومعه عثمان بن طلحة، وأمره أن يتقدم فيفتح البيت فلا يدع صورة إلا محاها، وكان فيه صور الملائكة، وصور إبراهيم يستقسم بالأزلام، وصورة مريم بنت عمران(٩٣).

---

(٨٨) الصحيح، كتاب المغازي، باب منزل النبي ﷺ يوم الفتح، حديث ٤٢٩٢

(٨٩) المغازي ٨٢٩/٢

(٩٠) المصدر نفسه ٨٢٩/٢

(٩١) ابن هشام، السيرة ٥٤/٤ وطواف النبي ﷺ يوم الفتح على راحلته في صحيح البخاري، حديث رقم ٤٢٨٩

(٩٢) المغازي ٨٣١/٢ – ٨٣٥

(٩٣) إرسال عمر لمحو الصور من الكعبة ذكره الإمام أحمد في المسند كما عند ابن كثير ٥٧١/٣ وله شاهد في صحيح البخاري من حديث عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله لما قدم مكة أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة فأمر بها فأخرجت، فأخرج صورة إبراهيم وإسماعيل وفي أيديهما الأزلام فقال : قاتلهم الله !! لقد علموا ما ستقسما بها قط (كتاب المغازي حديث ٤٢٨٨).

وقد جاء رسول الله ﷺ إلى الكعبة على راحلته فاستلم الركن بمحجنه وكبر، فكبر المسلمون لتكبيره، فرجعوا التكبير حتى ارتجت مكة تكبيراً، حتى جعل رسول الله يشير لهم : اسكتوا - والمشركون فوق الجبال ينظرون - ثم طاف رسول الله ﷺ على راحلته وأخذ بزمامها محمد بن مسلمة، فلما فرغ من طوافه نزل رسول الله عن الراحلة وأخذها معمر بن عبد الله بن نضلة فأخرجها عن المسجد، وتقدم رسول الله إلى المقام فصلى خلفه، ثم انصرف إلى زمزم فاطلع فيها وقال : لولا أن يغلبكم الناس لنزعت معكم، فنزع له العباس بن عبد المطلب دلواً فشرب منه، ثم طلب مفتاح الكعبة وأحضره عثمان بن طلحة وهو من الحجبة - وكان قد أسلم بعد الحديبية - وأخذه منه ثم فتح باب الكعبة ودخل ﷺ ومعه أسامة بن زيد، وبلال، وعثمان بن طلحة، وأجاف بلال عليهم الباب، فمكث فيها ما شاء، ورأى بقايا صور فأمر أسامة أن يحضر له دلواً من ماء فأخذ ﷺ يبل الثوب ويضرب به الصور حتى زال أثرها ويقول (قاتل الله قوماً يصورون ما لا يخلقون) وكبر ﷺ في نواحي الكعبة، وكانت على ستة أعمدة، ثم تقدم وجعل عمودين عن يمينه وعموداً عن يساره وثلاثة أعمدة وراءه وصلى[٩٤]، ثم خرج رسول الله ﷺ ووقف على الباب والمفتاح في يده ثم جعله في كمّه، وأمسك بعضادتي الباب، وأشرف على الناس وقد حضروا له وهم جلوس حول الكعبة، فخطب فيهم - كما سيأتي تفصيله - وأعطى المفتاح لعثمان بن طلحة وهو يتلو قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾[٩٥] ثم قال: خذوها يا بني أبي طلحة تالدة خالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم[٩٦]

وقد تعرض ﷺ لمحاولة اغتيال وهو يطوف بالبيت، حيث ذكر ابن هشام أن فضالة بن عمير بن الملوح الليثي أراد قتل النبي ﷺ وهو يطوف بالبيت عام الفتح، فلما دنا منه قال رسول الله ﷺ : (أفضالة ؟ قال : نعم فضالة يا رسول الله. قال : ماذا كنت تحدث به نفسك؟ قال: لا شيء، كنت أذكر الله، قال : فضحك النبي ﷺ ثم قال : استغفر الله، ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه، فكان فضالة يقول : والله ما رفع يده عن صدري حتى ما من خلق الله شيء أحب إليّ منه[٩٧])

---

(٩٤) ابن كثير، السيرة ٣/٥٧٥ . ومعنى أجاف الباب : أغلقه.

(٩٥) سورة النساء : ٥٨

(٩٦) الأزرقي، أخبار مكة ١/٣٧٠ بإسناد مرسل، وأخرجه عبد الرزاق في المصنف ٥/٨٥

(٩٧) السيرة النبوية ٤/٥٩ والذي يظهر أن هذه المحاولة ليست أثناء الطواف الأول عندما كان على راحلته وإنما في طواف آخر، أو بعد الفراغ من الطواف والنزول عن الراحلة

٢- تحطيم الأصنام :

روى البخاري من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب فجعل يطعنها بعود في يده ويقول : جاء الحق وزهق الباطل، جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد[٩٨]

وعند ابن هشام من حديث ابن عباس رضي الله عنه تفصيل أكثر حيث قال : دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح على راحلته فطاف عليها وحول البيت أصنام مشدودة بالرصاص (أي مثبتة في الأرض بالرصاص) فجعل النبي ﷺ يشير بقضيب في يده إلى الأصنام ويقول : جَاءَ الْحَقّ وَزَهَقَ الْبَاطِلِ إنّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً[٩٩]

فما أشار إلى صنم منها في وجهه إلا وقع لقفاه، ولا أشار إلى قفاه إلا وقع لوجهه، حتى ما بقي منها صنم إلا وقع، فقال تميم بن أسد الخزاعي في ذلك :

وفي الأصنام معتبر وعلم لمن يرجو الثواب أو العقابا[١٠٠]

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : وأقبل رسول الله ﷺ حتى استلم الحجر ثم طاف بالبيت فأتى إلى صنم إلى جانب البيت كانوا يعبدونه، وفي يد رسول الله ﷺ قوس، وهو آخذ بسية[١٠١] القوس فلما أتى على الصنم جعل يطعن في عنقه ويقول : جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا [١٠٢].

ويحدد الواقدي[١٠٣] مواقع بعض الأصنام فيقول : وكان هبل أعظمها وهو وجاه الكعبة على بابها، قلت : ولعله المراد بحديث مسلم الصنم الذي طعنه النبي ﷺ بقوس في عنقه.

وأما إساف ونائلة فهما بقرب زمزم حيث ينحرون ويذبحون الذبائح عندهما.

ولما كُسِر هبل و النبي ﷺ واقف عليه قال الزبير لأبي سفيان بن حرب : يا أبا سفيان قد كسِر هبل، أما إنك كنت منه يوم أحد في غرور حين تزعم أنه قد أنعم، فقال أبو سفيان : دع هذا عنك يا أبن العوام، فقد أرى لو كان مع إله محمد غيره لكان غير

---

(٩٨) صحيح البخاري، كتاب المغازي، حديث ٤٢٨٧ وأخرجه مسلم، كتاب الجهاد والسير، حديث ٨٧ ص ١٤٠٨

(٩٩) سورة الإسراء أية ٨١

(١٠٠) السيرة النبوية ٥٩/٤ وانظر سيرة ابن كثير ٥٧٢/٣

(١٠١) سية القوس : ما عطف من طرفي القوس.

(١٠٢) كتاب الجهاد والسير، حديث ٨٤ ص ١٤٠٦

(١٠٣) المغازي ٨٣٢/٢

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ما كان. وفي رواية يونس بن بكير، عن ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ لما دخل الكعبة وجد فيها حمامة من عيدان فكسرها ثم قام على باب الكعبة ورمى بها[١٠٤].

وأخرج البيهقي عن ابن أبزى قال : لما افتتح رسول الله ﷺ مكة جاءت عجوز حبشية شمطاء تخمش وجهها وتدعو بالويل، فقيل يا رسول الله : رأينا عجوزاً شمطاء حبشية تخمش وجهها وتدعو بالويل، فقال : تلك نائلة أيست أن تعبد ببلدكم هذا أبدا[١٠٥]

وقد أمر ﷺ أن لا يبقى صنم عند أحد إلا كسره، فجعل المسلمون يكسرون تلك الأصنام؛ وكان عند هند بنت عتبة صنم في بيتها فجعلت تضربه بالقدوم حتى صار قطعاً وهي تقول : كنا منك في غرور[١٠٦].

٣- خطبة الرسول ﷺ يوم الفتح :

تدل المصادر على تعدد خطب النبي ﷺ عند فتح مكة حسب المناسبات والحاجات، فكانت أول خطبة بعد خروجه من جوف الكعبة، حيث وقف على باب الكعبة وقد جُمع الناس له فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا كل مأثرة[١٠٧] أو دم أو مال[١٠٨] يُدّعى فهو تحت قدمي هاتين، إلا سدانة البيت وسقاية الحجاج، ألا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا، ففيه الدية مغلظة، مائة من الإبل، أربعون منها في بطونها أولادها. يا معشر قريش : إن الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء، الناس من آدم و آدم من تراب. ثم تلا هذه الآية ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[١٠٩] ثم قال : يا معشر قريش : ما ترون أني فاعل فيكم ؟ قالوا : خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم، قال : أذهبوا فأنتم الطلقاء[١١٠]. هكذا ذكر ابن إسحاق، أما غيره فذكر أن النبي ﷺ قال لهم : فإني

---

(١٠٤) البيهقي، دلائل النبوة ٥/٧٤

(١٠٥) المصدر السابق ٥/٧٥ وهو مرسل، وانظر سيرة ابن كثير ٣/٥٧٢.

(١٠٦) الواقدي، المغازي ٢/٨٧٠ و ٨٧١

(١٠٧) المأثرة : المنقبة التي يتفاخر بها

(١٠٨) المراد المال المترتب على الربا فإنه موضوع

(١٠٩) سورة الحجرات آية ١٣

(١١٠) ابن هشام، السيرة النبوية ٤/٥٥ وللخطبة شاهد عند أبي داود ٢/٤٩٢ والترمذي ٥/٦٤ ومسند أحمد ٢/١١ برقم ٤٥٨٣ عدا قوله : اذهبوا فأنتم الطلقاء.

أقول لكم كما قال أخي يوسف ﷺ (لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ[١١١])

= وروى الإمام أحمد من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : لما فتحت مكة على رسول الله ﷺ قال : كفوا السلاح إلا خزاعة من بني بكر، فأذن لهم حتى صلوا العصر، ثم قال : كفوا السلاح. فلقي رجل من خزاعة رجلاً من بني بكر من غدٍ بالمزدلفة فقتله، فبلغ رسول الله ﷺ فقام خطيباً فقال :- ورأيته مسنداً ظهره إلى الكعبة - إن أعدى الناس على الله من قَتَل في الحرم، أو قَتَل غير قاتله، أو قَتَل بذحول[١١٢] الجاهلية. فقام إليه رجل فقال : إن فلاناً ابني، فقال رسول الله ﷺ لا دعوة في الإسلام، ذهب أمر الجاهلية، الولد للفراش وللعاهر الأثلب، قالوا : وما الأثلب ؟ قال : الحجر، قال: وفي الأصابع عشر عشر، وفي المواضح خمس خمس. قال : ولا صلاة بعد الغداة حتى تطلع الشمس، ولا صلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس، قال : ولا تنكح المرأةُ على عمتها ولا على خالتها، ولا يجوز لامرأة عطية إلا بإذن زوجها[١١٣]

=وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن خزاعة قتلت رجلاً من بني ليث بقتيل لهم في الجاهلية، فقام رسول الله ﷺ فقال : إن الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين، ألا وإنها لم تحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد بعدي، ألا وإنما أحلت لي ساعة من نهار، ألا وإنها ساعتي هذه حرام، لا يُختلى شوكها، ولا يعضد شجرها، ولا يَلْتقط ساقطتها إلا منشدٍ، ومن قُتل له قتيل فهو بخير النظرين، إما أن يودى، وإما أن يقاد. فقام رجل من قريش فقال : يا رسول الله إلا الإذخر فإنما نجعله في بيوتنا وقبورنا، فقال رسول الله ﷺ : إلا الإذخر[١١٤]) وفي جامع الترمذي

---

(١١١) أبو عبيد، الأموال ص ١٤٣ و البيهقي في دلائل النبوة ٨٥/٥، والآية من سورة يوسف ٩٢ و انظر الواقدي،المغازي ٨٣٦/٢.

(١١٢) الذحل : الحقد والعداوة، يقال : طلب بذحله، أي بثأره، والجمع ذحول (الجوهري، الصحاح، باب اللام، فصل الذال)

(١١٣) المسند ١٨٠/٢ حديث رقم ٦٦٨١ والحديث قال عنه الألباني : حسن صحيح، وقال شعيب : الحديث حسن ولبعضه شواهد يصح بها. ومعنى في الأصابع عشر عشر: أي في كل أصبع عشر من الإبل. والمواضح جمع موضحة، وهي الشجة التي توضح عن العظم، وفيها خمس من الإبل.

(١١٤) صحيح البخاري، كتاب الديات، حديث رقم (٦٨٨٠) ومسلم، كتاب الحج، باب تحريم مكة وصيدها ٩٨٩/٢ وبنحوه في صحيح البخاري، كتاب جزاء الصيد، حديث رقم (١٨٣٢) من حديث أبي شريح الخزاعي وكذا برقم (١٨٣٣) من رواية ابن عباس.

زيادة وهي قوله ﷺ : يا معشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل، فقد كثر أن يقع، لقد قتلتم قتيلا لأدينه، فمن قُتِل بعد يومي هذا فهو بخير النظرين: إن أحب فدم قاتله، وإن أحب فعقله(١١٥)

=ومن حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خطب فقال : إن الله ورسوله حَرّم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام، فقيل يا رسول الله : أرأيت شحوم الميتة فإنه يطلى به السفن، ويدهن بها الجلود، ويستصبح بها الناس، فقال : لا، هو حرام. ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك : قاتل الله اليهود، إن الله لما حَرّم عليهم شحومها، أجملوه ثم باعوه فأكلوا ثمنه(١١٦))

=وأخرج البيهقي من طريق ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ خطب الناس عام الفتح ثم قال : أيها الناس إنه لا حلف في الإسلام، وما كان من حلف في الجاهلية فإن الإسلام لا يزيده إلا شدة، والمؤمنون يَدٌ على من سواهم، يجير عليهم أدناهم، ويرد عليهم أقصاهم، تَرُدُّ سراياهم على قعيدتهم، لا يقتل مؤمن بكافر، دية الكافر نصف دية المسلم، لا جَلَبَ ولا جنب، ولا تؤخذ صدقاتهم إلا في دورهم(١١٧)

=وأخرج البخاري في صحيحه، حديث عروة بن الزبير، عن عائشة رضي الله عنها، أن امرأة سرقت في غزوة الفتح، ففزع قومها إلى أسامة بن زيد يستشفعونه، فلما كلمه أسامة فيها تلون وجهُ رسول الله ﷺ فقال : أتكلمني في حد من حدود الله ؟ فقال أسامة، استغفر لي يا رسول الله، فلما كان العشي قام رسول الله ﷺ خطيباً، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال : أما بعد، فإنما أهلك الناس قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، والذي نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها) ثم أمر بتلك المرأة فقطعت يدها، فحسنت توبتها بعد ذلك وتزوجت. قالت عائشة : فكانت تأتيني بعد ذلك فأرفع حاجتها إلى رسول الله ﷺ (١١٨).

---

(١١٥) جامع الترمذي، كتاب الديات، حديث رقم (١٤٠٦) والعقل : الدية.

(١١٦) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب بيع الميته والأصنام، حديث (٢٢٣٦) ومسلم، كتاب المساقاه، باب تحريم بيع الخمر ١٢٠٧/٣

(١١٧) دلائل النبوة ٨٦/٥. ومعنى لا جلب و لا جنب : أن عامل الزكاة يأتي للناس في محالهم فلا تجلب الماشية ولا تجنب له.

(١١٨) الصحيح، كتاب المغازي، حديث ٤٣٠٤ وفي كتاب الأنبياء، والحدود، ومسلم، كتاب الحدود، حديث (١٦٨٨).

٤- مبايعة أهل مكة :

بعد تطهير الحرم من الأصنام وخطبة النبي ﷺ الأولى جاءه الناس يبايعون، الرجال والنساء والصبيان، فكان يبايعهم على الإسلام والإيمان والخير والجهاد، فقد جاء مجاشع بن مسعود السُلمي بأخيه مجاهد، وكان أسَنّ منه وقال يا رسول الله : جئتك بأخي لتبايعه على الهجرة، فقال ﷺ : ذهب أهل الهجرة بما فيها. فقلت على أي شيء تبايعه ؟ قال : أبايعه على الإسلام والإيمان والجهاد[١١٩]) وفي رواية لمسلم: إن الهجرة قد مضت لأهلها ولكن على الإسلام والجهاد والخير.

وفي حديث ابن عباس عند البخاري (أن رسول الله ﷺ قال يوم الفتح : لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا[١٢٠]) وفي مسند الإمام أحمد أن رسول الله جلس للناس عند قرن مسقلة، فبايع الناس على الإسلام والشهادة (شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله[١٢١])

وكان ﷺ يبايع النساء بالكلام من غير مصافحة وعلى مافي سورة الممتحنة ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[١٢٢]

وكان ﷺ يمسح على رؤوس الأطفال وعلى وجوههم[١٢٣]، وقد جاء الصديق رضي الله عنه بأبي قحافة – وكان قد كف بصره – فأعلن إسلامه، وفرح النبي ﷺ بذلك وهنأ الصديق بإسلام أبيه[١٢٤].

بعض أعمال النبي ﷺ وقضاياه في مكة :

وفي مدة إقامته ﷺ في مكة قام بعدد من الأعمال وحكم وأفتى في عدد من القضايا. ومن أعماله ﷺ :

---

(١١٩) أخرجه البخاري في صحيحه ٩٣/٥ كتاب الجهاد، وفي المغازي برقم ٤٣٠٧ و ٤٣٠٨، ومسلم، في كتاب الجهاد ١٤٠/٢

(١٢٠) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، حديث رقم ٣٠٧٧

(١٢١) المسند ٤١٥/٣ وهو حديث حسن

(١٢٢) المسند (٦٤/٢١ من الفتح الرباني) والآية رقم ١٢

(١٢٣) صحيح البخاري ١٩١/٥ والمسند ٤٣٢/٥

(١٢٤) ابن هشام، السيرة ٤٦/٤ ورواه الحاكم في المستدرك ٤٦/٣ وقال : صحيح على شرط مسلم، وتابعه الذهبي.

١ – تجديد أعلام الحرم :

فقد أمر ﷺ بتجديد أعلام الحرم، وأسند ذلك إلى تميم بن أسد الخزاعي. وكان أول من نصب أنصاب الحرم إبراهيم عليه السلام وجبريل يريه ذلك، ثم جددها إسماعيل ثم جددها قصي بن كلاب، ثم لم تحرك حتى جددها النبي ﷺ يوم فتح مكة[١٢٥].

قال الواقدي : وكل وادٍ في الحرم يسيل في الحلّ، ولا يسيل وادٍ من الحل في الحرم إلا موضع واحد عند التنعيم[١٢٦].

وفي كتاب الأزرقي، والفاكهي، تفصيلات دقيقة عن أعلام الحرم وحدوده، وقياس المسافات من الكعبة إلى الأعلام[١٢٧].

٢– الولاية على مكّـــة :

لما خرج رسول الله ﷺ من مكّة إلى حنين استخلف عليها عتّاب بن أسِيد – بفتح الهمزة– بن أبي العيص بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف، وكان عمره واحداً وعشرين سنة. وقال له: أتدري على من استعملتك ؟ استعملتك على أهل الله، فاستوص بهم خيرا[١٢٨]. وجعل معه معاذ بن جبل الأنصاري إماماً ومقرئاً ومعلما[١٢٩].

وعند ابن سعد : أنه استخلف أولاً : هبيرة بن شبل بن العجلان الثقفي، فلما رجع من الطائف استخلف عتاب بن أسيد[١٣٠].

وذكر ابن سعد : أن رسول الله ﷺ استعمل سعيد بن سعيد بن العاص بن أميّة على سوق مكة حين فتحها، فلما خرج إلى الطائف خرج معه سعيد بن سعيد فاستشهد بالطائف[١٣١].

وأمر رسول الله ﷺ أبا محذورة القرشي الجمحي (أوس بن مِعْير بن لوذان بن سعد) بالأذان، حيث سمعه مع غلمة يحاكي الأذان فأعجبه صوته، فطلبه وأجلسه

---

(١٢٥) مغازي الواقدي ٨٤٢/٢

(١٢٦) المصدر نفسه

(١٢٧) انظر أخبار مكة للأزرقي ٦٨٦/٢ وأخبار مكة للفاكهي ٢٧٣/٢ وانظر تفصيلاً أكثر في بحث الشيخ عبد الملك بن دهيش، أعلام الحرم وحدوده.

(١٢٨) ابن هشام، السيرة ١٣٩/٤، وابن سعد، كتاب الطبقات الكبير ١٢٨/٢، والفاسي، شفاء الغرام ٢٥٢/١.

(١٢٩) المصدر السابق ١٣٩/٤، وانظر الفاسي، شفاء الغرام ٢٥١/٢.

(١٣٠) كتاب الطبقات الكبير ١٣٥/٢.

(١٣١) كتاب الطبقات الكبير ١٣٤/٢.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أمامه، وألقى عليه الأذان حرفاً حرفاً، ثم دعا له وأمره أن يؤذن بالحرم، فمازال مؤذنا حتى مات سنة ٥٩هـ وقيل سنة ٧٩هـ[١٣٢]، وتعليم النبي ﷺ الأذان لأبي محذورة، في صحيح مسلم، وسنن الترمذي[١٣٣].

ومن القضايا التي حكم فيها :

١- قضية في النسب :

قضى ﷺ في مسألة رفعت إليه في النسب، فقد روى عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان عتبة بن أبي وقاص، عهد إلى أخيه سعد، أن يقبض ابن وليدة زمعة، وقال: إنه ابني. فلما قدم رسول الله ﷺ مكة في الفتح أخذ سعد بن وليدة زمعة فأقبل به إلى النبي ﷺ، وأقبل معه عبد بن زمعة، فقال سعد بن أبي وقاص: هذا ابن أخي عهد إليّ أنه ابنه. فقال عبد بن زمعة : يا رسول الله هذا أخي، هذا ابن وليدة زمعة ولد على فراشه، فنظر رسول الله ﷺ إلى ابن وليدة زمعة فإذا أشبه الناس بعتبة بن أبي وقاص، فقال رسول الله ﷺ : هو لك، وهو أخوك يا عبد بن زمعة) من أجل أنه ولد على فراشه، وقال رسول الله ﷺ : احتجبي منه يا سودة، لما رأى من شبه عتبة بن أبي وقاص. قال ابن شهاب : قالت عائشة : قال رسول الله ﷺ : الولد للفراش وللعاهر[١٣٤] الحجر. قال ابن شهاب : وكان أبوهريرة يصيح بذلك[١٣٥].

٢- البيان أنّه لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم :

أخرج البخاري ومسلم في صحيحهما حديث أسامة بن زيد } أنّه سأل النبي ﷺ في فتح مكة قائلاً يا رسول الله : أتنزل في دارك بمكة ؟ فقال : وهل ترك لنا عقيل من رباع أو دور؟ وكان عقيل ورث أبا طالب هو وطالبُ، ولم يرثه جعفرٌ ولا عليٌّ شيئاً، لأنهما كانا مسلمين، وكان عقيل وطالب كافرين)[١٣٦].

---

(١٣٢) انظر ترجمته في ابن عبد البر، الاستيعاب ١٣٢/١٢، وابن الأثير، أسد الغابة ٢٧٨/٥، وابن حجر، الإصابة : ١٢/١٢، وانظر الفاسي، العقد الثمين ٩٩/٨.

(١٣٣) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب صفة الأذان حديث رقم : ٣٧٩، وسنن الترمذي، كتاب أبواب الصلاة، باب ١٤٠ (الترجيع في الأذان) حديث رقم : ١٩١.

(١٣٤) العاهر : الزاني

(١٣٥) صحيح البخاري، كتاب المغازي حديث رقم ٤٣٠٣ ورواه في مواطن أخرى برقم ٢٠٥٣ و ٢٢١٨ و٢٤٢١ و ٢٥٣٣

(١٣٦) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب توريث دور مكّة حديث رقم: ١٥٨٨ وأخرجه في مواطن أخرى برقم: ٣٠٥٨ و٤٢٨٢. وصحيح مسلم، كتاب الحج، باب النزول بمكّة وتوريث دورها حديث رقم : ٤٣٩/١٣٥١ و ٤٤٠.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٣- قضاء النبي ﷺ لهند بنت عتبة أن تأخذ من مال زوجها بالمعروف :

أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها، أن هند بنت عتبة أم معاوية، قالت لرسول الله ﷺ : إن أبا سفيان رجل شحيح، فهل عليّ جناح أن آخذ من ماله سراً ؟ قال : خذي أنت وبَنوكِ ما يكفيك بالمعروف(١٣٧).

السرايا بعد فتح مكة :

بعث النبي ﷺ بعد فتح مكّة سرايا حول مكّة للدعوة وتعليم الناس الإسلام وإزالة آثار الشرك والجاهليّة، ومن أبرزها الأصنام التي كانت تعبد من دون الله، ومن تلك البعوث:

١- سريّة خالد بن الوليد لهدم العزّى:

بعث النبي ﷺ في الخامس والعشرين من شهر رمضان خالد بن الوليد ﷺ في ثلاثين فارساً لهدم صنم العُزّى، وهي من أعظم أصنام العرب، وكانت بنخلة الشاميّة، تعظمها قريش وكنانة ومضر كلها، وكان سدنتها من بني شيبان من بني سليم حلفاء بني هاشم، وهي ثلاث سمرات وعليها بناء، فلما جاءها خالد هرب السادن في الجبل، فقطع خالد السمرات وهدم البناء، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره فقال : ارجع فإنك لم تصنع شيئاً، فرجع خالد، فلما رآه السدنة هربوا في الجبل وهم يقولون : يا عزى خبليه، يا عزى عوريه، وإلا فموتي، فنظر خالد فإذا امرأة عريانة ناشرة شعرها تحثوا التراب على رأسها ووجهها، فضربها بالسيف حتى قتلها، ثم رجع إلى النبي ﷺ فأخبره. فقال : تلك العُزّى(١٣٨).

٢- سريّة عمرو بن العاص لهدم سواع :

بعث النبي ﷺ في شهر رمضان سنة ثمان سرية بقيادة عمرو بن العاص لهدم صنم سواع، وكان في رهاط، وتعظمه هذيل، فسار عمرو ﷺ حتى انتهى إليه وعنده السادن فقال : ما تريد ؟ قال عمرو : أمرني رسول الله ﷺ أن أهدمه. قال : لا تقدر

---

(١٣٧) صحيح البخاري، كتاب البيوع حديث رقم : ٢٢١١ وأخرجه في مواطن أخرى منها رقم : ٢٤٦٠، ٣٨٢٥،وصحيح مسلم، كتاب الأقضيّة، باب قضيّة هند، حديث ٧/١٤١٧، وانظر دلائل النبوة للبيهقي ٥/١٠٠ وما بعدها.

(١٣٨) ابن هشام، السيرة ٤ / ٧٩، والواقدي، المغازي ٢ / ٨٧٠، وابن سعد، كتاب الطبقات الكبير ٢ / ١٣٥، والبيهقي، دلائل النبوة ٥ / ٧٧، وابن كثير، السيرة النبويّة ٣ / ٥٩٧.

على ذلك. قال عمرو : ولِمَ ؟ قال : تُمنع ! قال : حتى الآن أنت في الباطل !! ويحك وهل يسمع أو يبصر ! قال : فدنوت منه وكسرته، وأمرت أصحابي فهدموا البيت.

ثم قلت للسادن : كيف رأيت ؟ قال : أسلمت لله.(١٣٩)

٣- سريّة سعد بن زيد لهدم مناة :

بعث النبي ﷺ في شهر رمضان سنة ثمان سرية بقيادة سعد بن زيد الأنصاري الأشهلي في عشرين فارساً لهدم صنم مناة، وكانت بالمشلل من قديد، وأكثر من يعظمها الأوس والخزرج، فلما انتهى إليها وعليها سادن، قال السادن : ما تريد ؟ قال : هدم مناة. قال : أنت وذاك ! فخرجت من الصنم امرأة سوداء عريانة تدعو بالويل وتضرب صدرها، فضربها سعد ﷺ حتى قتلها، ثم أقبل على الصنم فهدمه، ولم يجد في خزانته شيئاً فرجع إلى النبي (١٤٠).ﷺ

٤- سريّة خالد بن الوليد إلى بني جذيمة :

كان ذلك في شهر شوال من السنة الثامنة، ومعه ثلاثمائة وخمسون من الصحابة، وأمره النبي ﷺ بأن يكون داعياً لا مقاتلا، فخرج ﷺ إلى جنوب مكة قاصداً بني جَذِيمة - بفتح الجيم وكسر المعجمة - ابن عامر بن عبد مناة بن كنانة(١٤١)، وكانوا ناحية يلملم، بمكان يسمى الغميصاء(١٤٢). فلما وصل إليهم دعاهم إلى الإسلام لكنهم استعدّوا بالقتال وحملوا السلاح، وقالوا كما في لفظ حديث ابن عمر عند البخاري (فلم يحسنوا أن يقولوا : أسلمنا، فجعلوا يقولون: صبأنا، صبأنا)(١٤٣)، فأخبرهم خالد أن الناس قد أسلموا، وعليهم أن يضعوا السلاح، فأعطوا بأيديهم بعد المحاربة، واستأسروا وكتف بعضهم بعضا، فأعطى خالد كل أسير إلى رجل من أصحابه، حتى إذا كان يوم أمر خالد أن يقتل كل رجل أسيره، فاعترض عبد الله بن عمر فلم يقتل أسيره ولا من أطاعه من أصحابه(١٤٤)، حيث فهم كما في سياق حديثه

---

(١٣٩) ابن سعد، كتاب الطبقات الكبير ٢ / ١٣٥، وابن جرير، تاريخ الطبري ٣ / ٦٦، وابن سيد الناس، عيون الأثر ٢ / ٢٣٨.

(١٤٠) ابن سعد، كتاب الطبقات الكبير ٢ / ١٣٦، وابن جرير، تاريخ الطبري ٣ / ٦٦، وابن سيد الناس، عيون الأثر ٢ / ٢٣٨.

(١٤١) انظر البيهقي، دلائل النبوة ٥/١١٣، وابن حجر، فتح الباري ٨/٥٧.

(١٤٢) ابن سعد، كتاب الطبقات الكبير ٢ / ١٣٦، وابن جرير، التاريخ ٣/٦٦، والسهيلي، الروض الأنف ٧ / ٢٦٤، وابن سيد الناس، عيون الأثر ٢/٢٣٩.

(١٤٣) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب بعث خالد إلى بني جديمة،حديث رقم : ٤٣٣٩.

(١٤٤) المصدر نفسه.

أنهم أسلموا لكنهم لم يحسنوا النطق فقالوا : صبأنا، بينما فهم خالد من ذلك أنهم يستهزئون بالمسلمين ولذا أمر بقتلهم فقتلوا. ولما بلغ الأمر إلى رسول الله ﷺ رفع يديه إلى السماء فقال : اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد، مرتين [١٤٥]. ثم أمر علي بن أبي طالب ﷺ أن يأتي بني جذيمة ويصلح الوضع وأعطاه مالاً، فدفع ديات القتلى لأوليائهم، وعوضهم عن كل شيء فقدوه حتى ميلغة الكلب، وزاد مال مما معه فأعطاه لهم احتياطاً وصلة[١٤٦].

٥- سريّة الطفيل بن عمرو لهدم صنم ذي الكفين :

هذه السرية ذكرها ابن سعد في شهر شوال سنة ثمان قبل خروج النبي ﷺ إلى الطائف حيث أمر الطفيل بن عمرو الدوسي أن يسير إلى ذي الكفين (صنم عمرو بن حممة الدوسي) فيهدمه، ويستمد قومه وكانوا قد أسلموا، ويوافيه بالطائف، فخرج الطفيل سريعاً وهدم الصنم وحرقه وهو يقول :

يا ذا الكفين لست من عبادكا

ميلادنا أقدم من ميلادكا

إني حششت النار في فؤادكا

واستنفر قومه فنفر معه منهم أربعمائة، ووافوا النبي ﷺ بالطائف بعد مقدمه بأربعة أيام ومع الطفيل دبابة ومنجنيق[١٤٧].

٦- سرايا أخرى :

ذكر الواقدي في المغازي[١٤٨]: أن رسول الله ﷺ لما فتح مكّة بث السرايا في كل وجه، وأمرهم أن يغيروا على من لم يكن على الإسلام، فخرج هشام بن العاص بن وائل السهمي في مئتين قبل يلملم، وخرج خالد بن سعد بن العاص الأموي في ثلاثمائة قبل عُرَنَة، ولم يذكر أي تفاصيل عن هاتين السريتين، وقد تفرد بذكر ذلك عن بقيّة كتاب المغازي والسير، فلم يذكرهما ابن إسحاق، ولا تلميذ الواقدي ابن سعد، ولا الصالحي صاحب سبل الهدى والرشاد مع تبحره واستقصائه، ولم أجد في ترجمتيهما

---

(١٤٥) المصدر نفسه.

(١٤٦)ابن هشام، السيرة ٤/٧٣، وميلغة الكلب : الإناء الذي يسقى فيه ويطعم.

(١٤٧) ابن سعد، كتاب الطبقات الكبير ٢/١٤٥، وابن سيد الناس، عيون الأثر ٢/٢٥٨.

(١٤٨) الواقدي، المغازي، ٣/٨٧٣.

ما يدل على ذلك، سوى ما ذكره ابن حجر في ترجمة هشام بن العاص من أن النبي ﷺ بعثه في سرية في رمضان عام الفتح، ونسبه للواقدي[١٤٩].

الدروس والعبر من الفتح الأعظم :

١- خرج صلى الله عليه وسلم من مكة وهي أحب البلاد إليه، وقد أعلمه الله أنه سيعود إليها، ولذا عمل صلى الله عليه وسلم على تهيئة هذا الفتح، بنشر الإسلام وتقوية الجبهة الإسلامية لمواجهة حلف المشركين، وبعد انفضاض الأحزاب عن حصار المدينة في السنة الخامسة من الهجرة أعلن عليه الصلاة والسلام إستراتيجيته للمواجهة في السنوات القادمة فقال : اليوم نغزوهم ولا يغزوننا، نحن نسير إليهم[١٥٠]. أي أنه سيحاصر العدو وينقل المعركة إليه.

٢- أعلن صلى الله عليه وسلم في شهر ذي القعدة من السنة السادسة أنه خارج إلى مكة يريد العمرة وتعظيم البيت الحرام، وساق الهدي لينحر في مكة؛وهذا الموقف سيحرج قريشاً ،ويكشف أنها ليست أهلا لرعاية البيت الحرام إذا صَدّت من جاء معظماً له، مما يساعد في التضييق عليها وخروج حلفائها عنها.

٣- لما عُرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدنة والصلح قبله، لأنه يريد أن يهدئ النفوس الثائرة حتى تتمكن من النظر الصحيح في دعوة التوحيد، ولهذا سمى الله صلح الحديبية فتحاً مبيناً ، وقد بان أثر هذا الصلح في سعة انتشار الإسلام، ودخول قبائل بأكملها فيه حتى قال الإمام الزهري : فما فُتِح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه، إنما كان القتال حيث التقى الناس، فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب، وأمن الناس بعضهم بعضاً، والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة، فلم يُكلّم أحد بالإسلام يعقل إلا دخل فيه، ولقد دخل في تلك السنتين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك[١٥١] قال ابن هشام : والدليل على قول الزهري أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قد خرج إلى الحديبية في ألف وأربعمائة في قول جابر بن عبد الله ،. ثم خرج فى عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين في عشرة آلاف[١٥٢].

---

(١٤٩) ابن حجر، الإصابة ٥٤١/٦.

(١٥٠) ابن هشام، السيرة النبوية ٣٥٢/٣ والحديث في صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق حديث رقم ٤١١٠

(١٥١) ابن هشام، السيرة النبوية ٤٤٧/٣.

(١٥٢) المصدر نفسه ٤٤٨/٣.

٤- حافظ صلى الله عليه وسلم على احترام العهد، لكن جاء النقض من قريش بمعاونتها لحلفائها بني بكر على حلفائه خزاعة، فلما وقع منها النقض استبشر صلى الله عليه وسلم بفتح مكة وقد تهيأت الأحوال خلال سنتي الهدنة، ولهذا قال : نصرت يا عمرو بن سالم)[١٥٣] ونظر إلى سحابة في السماء ثم قال : إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب[١٥٤].

٥- الاستعداد لفتح مكة بما يليق به، فقد أخفى صلى الله عليه وسلم أمره، ودعا الله أن يحبس الأخبار عن قريش حتى يفاجئهم قبل أن يستعدوا، وأمر بحراسة الطرق المؤدية إلى مكة، والتعرف على الخارجين من المدينة والداخلين إليها، وورىّ بإرسال سرية إلى بطن إضم (شمال المدينة) ليُظَنّ أنه باستعداده يريد تلك الناحية؛ وأرسل عليه الصلاة والسلام لمن حوله من القبائل وأهل البادية بالحضور إلى المدينة، وأنه عازم على الغزو ولم يحدد وجهته.

٦- في قصة حاطب رضي الله عنه ومحاولته إفشاء سر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتابة لقريش دروس وفوائد وهي أن الضعف والخطأ لا يؤمن وقوعه من الإنسان حتى وإن كان من ذوي السابقة.

٧- وقاية الله لرسوله وللمسلمين بكشف ذلك الكتاب قبل أن يصل إلى العدو، وحسن تصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الموقف لما علم صدق حاطب واعترافه بالخطأ. فقال :(قد صدقكم) وعفا عنه.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٨- رحمة النبي صلى الله عليه وسلم وشفقته، حيث أوقف أحد أصحابه عند كلبة وجدوها في الطريق ترضع أولادها لئلا يؤذيها أحد، وأمر أصحابه بالفطر وألزمهم بذلك لما قرب من مكة لئلا يشق عليهم، وليكونوا أقدر على مجابهة العدو.

٩- حسن التنظيم والترتيب للجيش وإدارته، حيث عقد الرايات والألوية للقبائل، وجعلها في مجموعات محددة يسهل إدارتها وإبلاغها الأوامر والنواهي ، وعند دخول مكة أحاط بها من كل جوانبها من أسفلها ومن أعلاها ومن وسطها ليتمكن من الفتح ويرهب العدو ويضمن استسلامه وقبول الأمان.

١٠- سماحة النبي صلى الله عليه وسلم وحسن خلقه، حيث تجاوز عن سفيان بن الحارث وعبد الله ابن أبي ربيعة لما جاءا مسلمين، رغم ما قاما به من الأذى لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وكذا حسن تعامله صلى الله عليه وسلم مع أبي

---

(١٥٣) ابن هشام، السيرة النبوية ٣٥/٤ والهيثمي، مجمع الزوائد ١٦٣/٦.
(١٥٤) الهيثمي، مجمع الزوائد ١٦٤/٦.

سفيان بن حرب مما فتح قلبه للحق فأسلم، وعاد إلى قريش بالأمان من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

١١- كان صلى الله عليه وسلم يوازن بين اللين وبين الحزم وإظهار القوة، حيث أمر أن يُوقَفَ أبا سفيان عند مضيق الوادي ليطلع عن كثب على قوة المسلمين وحسن تنظيمهم، وقد أمر صلى الله عليه وسلم أصحابه بقوله : من كان عنده سلاح فليخرجه) أي يظهره ويعرض به، مما يجعل أبو سفيان ييأس من قدرة قريش على المقاومة، فذهب منادياً بأمان رسول الله صلى الله عليه وسلم (من دخل المسجد الحرام فهو آمن، ومن دخل بيته فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن).

١٢- تواضع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكره لله الذي هيأ له الأسباب ومكّنه من العودة إلى مكة بعد أن خرج منها خائفاً، فكان صلى الله عليه وسلم خافضاً رأسه على الراحلة حتى إن عثنونه (طرف لحيته) ليمس واسطة الرحل تواضعاً لله على ما أنعم به عليه.

١٣- عفوه صلى الله عليه وسلم بعد المقدرة عن صناديد الكفر والمن عليهم، وتأليف قلوبهم ليدخلوا في الإسلام. بل حتى الذين استثنوا من الأمان وأمر بقتلهم عفا عمن جاء منهم مسلما.

١٤- تطهير رسول الله صلى الله عليه وسلم للبيت من الأوثان والأصنام المحيطة به وإزالة الصور التي كانت على جدران الكعبة، وتأكيد حرمة مكة وأنها إنما أحلت له صلى الله عليه وسلم ساعة من نهار، ثم عادت حرمتها كما كانت إلى يوم القيامة.

وأمر منادياً ينادي : لا يبقى عند أحد صنم إلا كسره.

وفي هذا كله إظهار لشعائر التوحيد، وطمس لمعالم الجاهلية والكفر.

١٥- يعتبر فتح مكة أعظم الإنجازات والنجاحات للسياسة النبوية في نشر الإسلام، فبعد الفتح وتحطيم الأصنام، انفتحت قلوب العرب وصدورهم للإسلام، وزال عنهم طاغوت الكفر والرهبة من الأوثان، حيث اتضح لهم يقيناً أنها لا تنفع ولا تدفع، وأنهم منها في غرور.

قال تعالى: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً، فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا[١٥٥]﴾.

---

(١٥٥) سورة النصر (١- ٣)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وروى البخاري عن عمرو بن سلمة الجرمي قال: كانت العرب تتلوم (أي تنتظر) بإسلامها الفتح، فيقولون : أتركوه وقومه، فإنه إن ظهر عليهم فهو نبي صادق، فلما كانت وقعة الفتح، بادر كل قوم بإسلامهم ، وبدر أبي قومه بإسلامهم (١٥٦) وقد سَمّى علماء السيرة النبوية العام التاسع من الهجرة - الذي جاء بعد الفتح - عام الوفود لكثرة وفود العرب فيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم معلنين إسلامهم وخضوعهم لطاعته.

---

(١٥٦) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، حديث ٣٠٢.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قائمـــة المصـــادر والمراجـــع

ابن الأثير (عز الدين علي بن محمد الجزري) ت : ٦٣٠ هـ :

- أسد الغابة في معرفة الصحابة، د، ت، دار الشعب بمصر.

الأزرقي (محمد بن عبد الله) ت بعد ٢٤٤هـ :

- أخبار مكّة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق : عبد الملك بن دهيش، ط الأولى ١٤٢٤هـ، مكتبة الأسدي بمكة.

البخاري (محمد بن إسماعيل) ت : ٤٥٦هـ

- الجامع الصحيح، ط الأولى ١٤١٧هـ، نشر دار السلام بالرياض.

البيهقي (أحمد بن الحسين) ت : ٤٥٨هـ.

- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تحقيق : عبد المعطي قلعجي، ط الأولى ١٤٠٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

الترمذي (محمد بن عيسى) ت : ٢٧٩هـ.

- سنن الترمذي، تحقيق : أحمد شاكر، د، ت، دار إحياء التراث العربي، مصر.

الحاكم (محمد بن عبد الله) ت: ٤٠٥هـ.

- المستدرك على الصحيحين، نشر دار الكتاب العربي، بيروت.

ابن حجر (أحمد بن علي العسقلاني) ت : ٨٥٢هـ.

- فتح الباري شرح صحيح البخاري، المكتبة السلفية بالقاهرة.

- الإصابة في معرفة الصحابة، تحقيق: طه محمد الزيني، ط ١٣٩٦هـ، مكتبة الكليات الأزهرية.

ابن حنبل (أحمد بن محمد الشيباني) ت : ٢٤١هـ.

- المسند، تحقيق : شعيب الأرنؤوط، وإشراف :عبد الله التركي.

أبو داود (سليمان بن الأشعث السجستاني) ت : ٢٧٥هـ.

- السنن، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد، طبع دار الفكر، بيروت.

ابن سعد (محمد بن سعد بن منيع) ت : ٢٣٠هـ.

- الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت.

- كتاب الطبقات الكبير، تحقيق : علي محمد عمر، ط الأولى ١٤٢١هـ، مكتبة الخانجي بالقاهرة.

السهيلي (عبد الرحمن بن عبد الله الخثعمي) ت : ٥٨١هـ.

- الروض الأنف في شرح السيرة لابن هشام، ط الأولى ١٤٢١هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

ابن سيد الناس (محمد بن محمد اليعمري) ٧٣٤هـ.

- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، دار الآفاق ١٩٧٧م، بيروت.

الصنعاني (عبد الرزاق بن همّام) ت : ٢١١هـ.

- المصنف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط٢ سنة:١٤٠٣هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.

ARCHIVE

الطبري (محمد بن جرير بن يزيد) ت: ٣١٠هـ.
- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف بمصر.
ابن عبد البر (يوسف بن عبد الله النمري القرطبي) ت : ٤٦٣هـ.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، مطبوع بهامش الإصابة، تحقيق : طه محمد الزيني، مكتبة الكليات الأزهرية سنة ١٣٩٦هـ.
أبو عبيد (القاسم بن سلاّم) ت : ٢٢٤هـ.
- الأموال، تحقيق : محمد خليل هراس، مكتبة الكليات الأزهرية، ودار الفكر العربي.
عروة بن الزبير بن العوام، ت : ٩٤هـ.
- مغازي رسول الله ﷺ، جمع وترتيب : محمد مصطفى الأعظمي، مكتب التربية بدول الخليج العربي، الرياض ١٤٠١هـ.
الفاسي (محمد بن أحمد الحسني المكي) ت : ٨٣٢هـ.
- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق : محد حامد الفقي،مطبعة السنّة المحمدية بمصر.
- شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط الأولى ١٤٠٥هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.
الفاكهي (أبو عبد الله محمد بن إسحاق) ت : القرن الثالث.
- أخبار مكّة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق : عبد الملك بن دهيش، ط الأولى ١٤٠٧هـ، مكتبة النهضة بمكة.
ابن كثير (إسماعيل بن عمر القرشي) ت : ٧٧٤هـ.
- السيرة النبويّة، تحقيق : مصطفى عبد الواحد.
محسن بن أحمد الدوم (معاصر)
- مرويات فتح مكّة، رسالة ماجستير، غير منشورة، الجامعة الإسلاميّة بالمدينة المنورة.
الإمام مسلم (مسلم بن الحجاج القشيري) ت : ٢٦١هـ.
- صحيح مسلم، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي.
موسى بن عقبة الأسدي، ت : ١٤١هـ.
- المغازي، جمع وترتيب : محمد باقشيش أبو مالك، نشر جامعة ابن زهر بأغادير، المغرب.
ابن هشام (عبد الملك الحميري) ت : ٢١٨هـ.
- السيرة النبويّة، علّق عليها : عمر عبد السلام تدمري، ط الأولى، دار الريان بالقاهرة.
الهيثمي (علي بن أبي بكر) ت : ٨٠٧هـ.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الكتاب العربي، ط٣.
الواقدي (محمد بن عمر) ت : ٢٠٧هـ.
- المغازي، تحقيق : (مارسدن جونس)، دار عالم الكتب، بيروت.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com